



المعيزات الدخيلة

ALTINOLUK

مجلة فصلية - العدد ٣٨ (أيلول - كانون الأول ٢٠٢٢) -

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:
«ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج
البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء» (البخاري: ١٣٥٨)

الاسلام؟

يقول الله تعالى:

(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ
وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا
الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ
الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ)

(آل عمران: ١٩)





قرأنا الأعزاء...

حينما نقرب النظر فيما حولنا هذه الأيام، نجد أنه ثمة سعي حثيث لتغيير نظرة الناس إلى هذه الحياة الدنيا، حتى يرونها الحياة الحقيقية السرمدية، وكأن لا آخرة بعدها، وفي هذا السعي تتخذ الأفكار المجردة من الإيمان كالليبرالية والمادية والرأسمالية وسيلة لتحويل قناعات الناس ورؤاها، وما يؤول الإنسان ويحز في نفسه أن تلكم الأفكار المسمومة ينفثها التلفاز و(الإنترنت) وغيرهما الكثير والكثير من وسائل النشر والاتصال الحديثة، وتطالع الناس في كل زاوية من زوايا الحياة اليومية صباح مساء.

ولذلك بتنا نرى الفقر إلى الروحانيات والعوز إلى الإيمان يشيع في كل مكان، حتى في المجتمعات التي تتربع على عرش الرفاهية المادية والتقدم المادي، فإن الإنسان إذا لم يستطع حل لغز الحياة، ومعرفة حكمة الوجود، واستشفاف سر الموت وما وراءه، وغيرها من الموضوعات الجوهرية على ضوء الحقائق الإلهية، فستحول غفلته في هذه الحياة واستغراقه في ملذاتها سعادةً وطمأنينة.

ووا أسفاه على تلك العقول والأفئدة التي تميل مع رياح العولمة الطاغية حيث مالت، ولهذا كله فلا بد أن نوفي بالدين الذي يوجه علينا إيماننا ووجداننا، دين الأخذ بيد الإنسانية التي ألقت بنفسها في دوامة الدنيا، فصارت كجذوع الأشجار حينما تجتثها السيول؛ وفي أعناقنا كذلك دين الحفاظ على ما أوثقتنا عليه من الكتاب والحكمة. فينبغي لنا تبين الكتاب وشرح الحكمة وتعريف الحضارة والسعادة الحقيقية وذلك بإظهار الوجه الحقيقي للإسلام.

وأما إن سألتكم عن تلكم الروح التي ستحيي المجتمعات التائهة في هذه الأيام، فليست روح أولئك الذين يؤثرون أنفسهم على غيرهم، ويدعون العلم، وينكبون على كتب الفلسفة الجسام؛ بل إنها روح المؤمنين العارفين الذين تدبروا وتفكروا في الحكم الإلهية المعروضة في القرآن والكون والإنسان، فكانوا كشمس الرحمة والطمأنينة تشرق على القلوب التي ما فتئت تائهة في ظلمات الجهل والأوهام، وترى الناس اليوم يبحثون عن السعادة في سوق السفالة والتعاسة لأنهم حرموا من تلك الروح، فصار كل واحد منهم كرجل آلي تتحكم بإرادته فلسفات متهافئة، وصرعات جديدة لا قيمة فيها ولا نفع...



كلمة التحرير

المحتويات

الميزاب الذهبي

مجلة تصدر كل أربعة أشهر

العدد ٣٨

(أيلول - كانون الأول ٢٠٢٢)

رئيس التحرير

بيت الله ديمرجي أوغلو

مدير التحرير

حسام يوسف

هيئة التحرير

بيت الله ديمرجي أوغلو

حسام يوسف

آدم أزدмир

د. مراد قايا

التصحيح والتدقيق اللغوي

أ. حسن مرشد.

ياسمين رستم.

التصميم والتنضيد والخراج الفني

حسام يوسف

دار النشر والطباعة

İkitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi
Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60 / 3C
Başakşehir - İstanbul / TÜRKİYE
Tel: +90 212 671 07 00 Faks: +90 212 671 07 48

الإشتراك

لكي تصلكم المجلة بشكل دوري

يمكنكم الإشتراك سنوياً بمبلغ ٣٠ دولار

كما يمكنكم المساهمة بإرسال المقالات

والملاحظات على عناوين المجلة

للمراسلة

www.islamicpublishing.org
almizab2011@hotmail.com
almizab2011@gmail.com

١٠



الألفة والدراية مع الأسرة
الدكتور: آدم أرجول

٣



لماذا الاسلام؟
الأستاذ: علي رضا تامل

٤١



شكر؟ صبر؟ عصيان؟
الأستاذة: أيسل جورجن

٢٨



مراحل حياة الإنسان
الأستاذ: عثمان نوري طوباش

٢٦	التوبة النصوح	١	كلمة التحرير
٢٧	الشكر على الروحانيات	٣	لماذا الاسلام؟
٢٨	مراحل حياة الإنسان	٧	محبة الرسول ﷺ
٣٦	حبيب المخلوقات	٨	التربية المعنوية في حياة محمود سامي
٣٨	العالم والأسلوب	١٠	الألفة والدراية مع الأسرة
٤١	شكر؟ صبر؟ عصيان؟	١٤	دلائل من دون تعيين
٤٥	السلطة الدينية في الدولة العثمانية	١٦	الماء
٤٦	جوهر العبادات الخفي	١٨	مسافر غريب
٥٠	العفو	٢٠	المؤمن لا ينقطع عمله
٥٢	القلب والعقل	٢٣	إدخال السرور في قلب اليتيم
٥٦	حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا	٢٤	الأدب

ملاحظة: المقالات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

لماذا الاسلام؟

يقول الله تعالى:

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ

(آل عمران: ١٩)

أن يبدد الظلام وحده. لذا فلا بد له من نور الهداية في الوحي المرسل في الرسائل الإلهية..
الله تعالى الذي خلق الكون لحكمة قدرها الأنبياء الذين اختارهم تعالى، والرسول الهداة الذين اصطفاهم الله واختارهم على سائر البشر ليلبغوا رسالته لكي لا يدعوا الإنسان يتيه في اللامسؤولية والضياح ويظل وحيداً ذاك الإنسان الذي استخلفه الله في الأرض وجعله خليفته على الأرض الله الذي سخرنا في هذه الدنيا للاختبار وخلق كل شيء بأمره. أرسل لنا "مرشداً حياً"، (برنامج الحياة) والكتب الإلهية تحتوي على هذا البرنامج.

الدين والإحساس به إنما هو نابع من فطرتنا التي جبلنا عليه فلا يعقل أن لا يفكر الإنسان العادي في معنى وخلفية الوجود والحياة. فهذه الملكة هي من أعظم السمات التي تميز الإنسان عن الحيوانات.
فكما ليس هنالك كون بلا غاية ولا هدف، فلا توجد حياة بلا معنى. و أصدق وأدق مصدر للمعلومات حول نظام الكون، والغرض من الحياة ومعناها هي الرسائل الإلهية المرسلة إلينا عبر الرسل والأنبياء السابقين، فالعقل المحروم من نور الوحي والرسالة الغارق في غياهب الجهل تجده مشتتاً تتلبس عليه أساسيات الوجود والحياة ولا يستطيع

أساس جميع الرسالات الإلهية هو التوحيد. البرنامج الإلهي، الذي يقوم على مبدأ خالق واحد، يغطي الحياة كلها وينير درب الإنسان من قبل الولادة وفيما بعدها. هذا الإتقان والتماسك الذي نراه يغيب عن أي عمل قد يقدر بشر على تكوينه، قد أرسله لنا ربنا تعالى ليعيننا ويشرح لنا لا جدل ولا نقاش فيه.

الأنبياء والرسل قد نقلوا نفس الأشياء عن التوحيد والقيم والمبادئ الإنسانية والأخلاقية. فالكتب السماوية التي تحتوي على هذه المبادئ والأصول والتي انتقلت إلينا هي التوراة والإنجيل والزبور وكتابتنا المقدس القرآن الكريم.

فالديانات التي لا زالت حية اليوم هي كتب الديانات اليهودية والمسيحية والإسلام هي ديانات إلهية سماوية. على الرغم من وجود العديد من الديانات الأخرى غير هذه التي نراها هنا وهناك، إلا أنها ليست بديانات إلهية. ولا يمكن

احتسابها في الفئة. فالأديان مثل الهندوسية والبوذية والطاوية والشتوية والكونفوشية هي ديانات منبعها بشري بحث فهي لا تُنسب إلى الله تعالى ولا إلى وحي ورسل أو صلواها. فلن يكون الدين إلهياً، لا بد أن يكون مصدره من الوحي الواصل الأنبياء من الإله جل وعلا.

ماذا تعني اليهودية والمسيحية والإسلام الحالية، خاصة بالنسبة لأهل اليوم؟ دعونا نتناول هذا السؤال بملاحظات محمد أسد، الذي كان على الدين

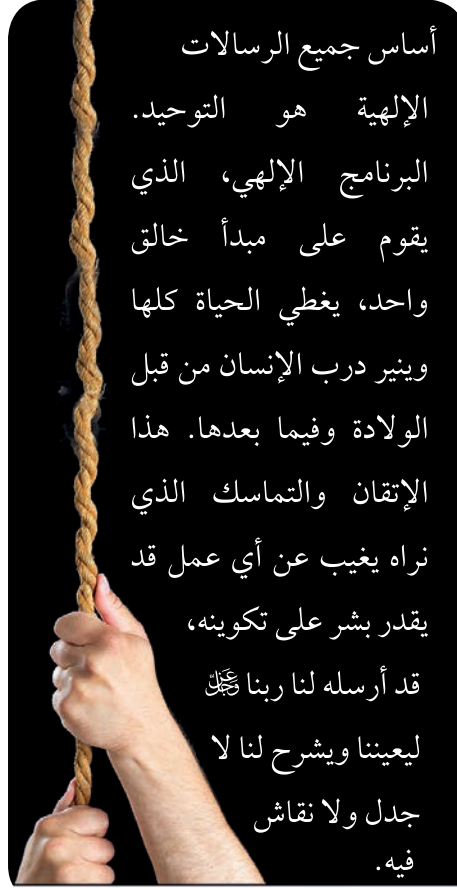
اليهودي، كاتبنا الذي درس وفحص الأديان الثلاثة عن كثب وتعمق فيهم وتناولها بموضوعية قدر الإمكان حتى من الله عليه وأكرمه بالإسلام.

لم ليست اليهودية؟

محمد أسد الذي تعلم العهد القديم من (التوراة) أي الأصل ودرس التلمود قال أنه يبدو لي أن إله

التلمود كان مهتماً بشكل غريب بمصير شعب واحد رغم أنه كان يجب أن يكون إلهاً للجميع، أن يكون الكون كله سخر الكون بأكمله من أجل "قبيلة مختارة"

فالكون ينظم وفقاً لاحتياجاتها يجعل من الإله كإله قبلي له الميل لجهة دون الأخرى، من حيث الدين، دفعتني عمليات البحث الأولى هذه إلى الابتعاد عن دين أجدادي بدلاً من الاقتراب منه. ولم تجدني أرى أي ضرر في الابتعاد عن دينهم وتركه، لأنه لم يكن أكثر من سلسلة من الممارسات الشعائرية الغير



مقنعة بالنسبة لي.

لم ليست المسيحية؟

يجيب الأسد بإيجاز على هذا السؤال كالتالي: في السنوات الماضية، عندما كنت أشعر باليأس من دين أجدادي، بدأت في التوجه إلى المسيحية. بدا لي المفهوم المسيحي عن الله، الذي يقيم البشرية جمعاء في كون الرأفة الأولية والسلام أساس، والذي لا يجعل رحمة الله ورعايته الرحيمة مقصورة على مجموعة مختارة من الناس قد بدا أقرب لي،

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من

جدعاء» (البخاري: ١٣٥٨)



وقد جعل ذلك الأمر لي أكثر اكتمالاً من مفهوم الإله القبلي في التوراة. ومع ذلك، لم يفتني التشويه الحاصل فيها رغم ما شدني من السلام.

فوجود عنصر مشوه في النظرة

المسيحية للعالم لا يتوافق مع

مقاربتة الكونية. كان هذا تمييزه بين الروح والجسد، بين عالم الإيمان والحياة العملية. كنت أشعر أن المسيحية يجب أن تكون للحضارة الغربية مصدر قوة في المستوى الأخلاقي والذي فقد فرصته فيها منذ فترة طويلة، اعتمد أتباع هذا الدين فكرة كون الدين أخلاق لا تمت للحياة العملية والعلمية بصلة كعقيدة راسخة فالدين عندهم لا يقترب من الحياة.

هم سعداء بكون الدين أفيون مهدئاً مريحاً لا أكثر، وهذا الغموض والبعد قد خلق فجوة وعزز عدم اليقين والشك والغموض الأخلاقي العام، واختيار الابتعاد عن المسؤوليات الاجتماعية والاقتصادية وفصل الدين الإلهي عن الحياة العملية. يبدو لي أن هذا الدين، الذي فشل في أن يكون دليلاً ملموساً لأتباعه في الشؤون الدنيوية وهادياً لهم في الحياة العملية، كان مدفوعاً بالموقف القديم للكنيسة التي قادت الفكر الاجتماعي إلى اتباع مسار مختلف تماماً عن الخط الذي تصوره يسوع عليه السلام. فالقدرة على التحمل ليست فقط لإظهار كيف نؤمن، ولكنها أيضاً تفسر كيف نعيش.

لهذا السبب فقد الغربيون إيمانهم بالمسيحية منذ مئات السنين، وفقدان هذا الاعتقاد جعلهم يصمون عن حقيقة أن الكون ككل هو عمل وآية هو إرادة عليا لها حكمة عليا. وبسبب هذا الصمم وهذا الضلال كان الغربيون يتخبطون في الفراغ الروحي والأخلاقي.

لماذا الاسلام؟

عندما كان السيد محمد الأسد في دمشق، كان يقضي معظم وقته في قراءة كتب عن الإسلام.

وبينما يوغل في القراءة كانت الحجب والستر ترتفع ويكشف المعنى الحقيقي للإسلام أكثر وأكثر.. إذاً هل كان الإسلام أسلوب حياة وليس ديناً بالمعنى العام للكلمة؟

فبدلاً من أن يكون نظاماً جيولوجياً، كان برنامجاً حياً كلياً يقوم على الإيمان بالله والشعور بالعبودية، والذي وجد فيه تصوره للسلوكيات الشخصية والاجتماعية. لا يوجد في القرآن أي مفهوم للكفارة بالمعنى المسيحي، فكرة إثم وراثي مزروع بين الإنسان ومصيره والخطيئة التي تدوم وتتناقل، لأنه وبحسب القرآن: "لا أحد سواك أنت" لم يكن هناك زهد أدى إلى فكرة إجبار الأبواب السرية الباطنية على التطهير على الاقتراب من الله. لأن النقاء، بحسب القرآن، صفة فطرية للبشر، وإذا وجدت خطيئة، فهي لا تعني شيئاً سوى الابتعاد عن القيم الفطرية والإيجابية التي أعطاهها ومنحها الله للجميع، في أحكام القرآن عن الطبيعة البشرية. في الرسالة التي حملها، كان فصل الروح عن الجسد يترك مكانه لإنسان واحد وشامل.

فالقرآن ليس مجرد كتاب روحي فقط بل كان أكثر من ذلك بكثير، ومع مرور الوقت بدأت أفهم أن القرآن كان منهجاً للحياة، بدأت أفهم أنه إذا كان الإنسان مخلوقاً بوحدة بين الروح والجسد - كما يقول

الإسلام-فذلك يعني أن كل تفاصيل الحياة تقع تحت مسمى الدين وإطاره ولا يوجد بعد لا أهمية له في الدين فيما يعيشه الإنسان.

من ناحية أخرى علم القرآن المسلمين أن الدنيا ما هي إلا جزء من الفناء وأن الوصول هو الغاية الأسمى التي يجب أن يسعوا إليها حيث الخلود والبقاء لا دار الزوال والفناء، فعلمهم أن لا يحدوا عن الصراط ولا يدعوا الأهواء تجرهم ووجه أعمالهم للآخرة وحسن علاقاتهم

ببعضهم البعض وفقا للقواعد الأخلاقية. لا يجب أن يوجه الإيمان العلاقات بين الله والعباد فحسب، بل يجب ان يوجه أيضا العلاقات بين الإنسان والإنسان.

ما تعلمته بخصوص الأسلام كان مذهلا بموجب الأخلاق والفكر. الإسلام يقترب للمشاكل الروحية بشكل أعمق وذات مغزى أكبر من مقارنة التوراة. بالإضافة لذلك، القرآن لم يكن لديه أي تفضيل لقوم معينين مثل التوراة. مقارنته أيضا لمشاكل الحياة وللحياة العملية كان رائعًا للغاية على عكس الإنجيل. فكانت الروح والجسد ترتفعان كصورة واحدة، كوجهين توأمين لعملة واحدة هي الحياة التي وهبها الله لنا.

هذه الإثباتات لمحمد أسد حول اليهودية والمسيحية والإسلام كانت موضوعية ودقيقة للغاية.

هناك العديد من الأسباب التي تجعل اليهودية والمسيحية اليوم بموقف ضعيف لا يملك حلولاً لمعتقيهم يدعم ضائعين ولا يجد حلاً لمشاكل الناس المضطهدين عندهم في الغرب، مشاكلهم الظاهرة منها والباطنة تجدهم يعتمدون فقط على نموذج التقدم التكنولوجي مقيدون بالعضلات الفولاذية للآلات متسترين بساتر الدين الهش الذي قد علم انه أيضا أن كتبهم من التوراة والإنجيل قد تم تحريفهما وفقدت مؤهلاتهما ككتب سماوية إلى حد كبير.

لا يوجد مخرج آخر ولا مأوى غير الإسلام الذي لا يميز بين الناس والذي يحتضن الناس والحياة بالكامل ويلبي الحاجات الروحية والجسدية بالمعنى الأخلاقي والمعقول والذي ايضا يحدد الغاية والهدف والحل الحقيقي والطريق الصحيح في هذه الدنيا.

وكنتيجة، العالم ينتظر الإسلام، والإسلام ينتظر المسلمين لا بالإسم بل المسلمين بكل ما تحمله الكلمة من معنى.





محبة الرسول عليه السلام

يقول الله تعالى في الآية الكريمة:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران، ٣١)

المكيدة، فاستشهد منهم ثمانية، بينما سَلِمَ اثنان منهم إلى مشركي مكة.

وكان الأسيران الصحابيَّين زيداً بن الدثنة وخبيباً بن عدي ؓ، واستشهدا على يد كفار مكة، وكانوا قد سألوا زيداً قبل أن يصلبوه: «أيسرُكَ أن محمداً في أيدينا مكانك وأنت في بيتك؟» فأجاب زيد ؓ: «والله ما يسرني أن محمداً أشيك بشوكة وأني في بيتي!». فما كان لأبي سفيان بعدما رأى من هذه المحبة إلا أن يقول: «ما رأينا أصحاب رجل قط أشدَّ حباً من أصحاب محمد لمحمد». ثم ذهبوا إلى خبيب ؓ، وقالوا له: «ارجع عن الإسلام، نُخِلْ سبيلك!». فقال: «لا والله ما أحب أني رجعت عن الإسلام وأن لي ما في الأرض جميعاً!». وسألوه ما سألوا زيداً ؓ فكان جواب خبيب مثل جواب زيد. وقبل استشهاده خبيب كان له طلب واحد فقط وهو: «السلام على سيدنا محمد ؓ...!»

لكن لم يكن عنده من يرسل سلامه هذا للنبي، فرفع عينيه بحزن إلى السماء ودعا قائلاً: «اللهم إني لا أرى إلا وجه عدو، اللهم إنه ليس ها هنا أحد يبلغ رسolk السلام عني، فبلغه أنت عني السلام!». وفي ذلك الحين كان رسول الله ؓ جالساً مع أصحابه، فأخذه كما كان يأخذه إذا أنزل عليه الوحي. ثم قال: «وعليه السلام ورحمة الله»، ثم قال: «هذا جبريل يُقرئني من خبيب السلام». وكانت النهاية أن استشهد الصحابيَّان قتلاً بعد التعذيب.

تبدأ المشاعر الأولى في محبة النبي ﷺ بخشية الله تعالى، والتأدب في حضرته، والاستشعار الدائم لمعيته سبحانه، ثم تخلص النفس من شهواتها وآفات رغبة فيما عند الله تعالى، وحرصاً على نيل محبة نبي الله، إذ هو الطاقة الكبرى الدافعة في الاقتداء والتأسي بشخصيته العظيمة ﷺ.

وفي هذه الأمة المحمدية هناك أناس من «أهل القلوب»، وهؤلاء هم الذين حققوا في مشاعرهم معاني محبته والتأسي به ﷺ، حتى بلغت محبتهم مرحلة الفناء فيه ﷺ، وهم يقدمون لنا نماذج حية وواقعية من هذه المحبة. لقد استطاع هؤلاء أن يصلوا إلى نبع المحبة، فقد أحبوا الله تعالى حق المحبة، وأحبوا رسول الله ﷺ حق المحبة، فصاروا هم أيضاً أهلاً لمحبة الخلق إلى قيام الساعة، وحبنا لهم حباً عملياً يكون في تذكركم والترضي عليهم، والدعاء لهم والاقتداء بهم.

فإذا ما تساءلنا عن كيفية وصولهم إلى هذه المنزلة والمحبة، نورد لكم نموذج من حياة هؤلاء الأفاضل.

أرسل رسول الله ﷺ إلى القبائل المحيطة به معلِّمين كي ينشروا الدين المبين ويعلموه، لكن بعضاً من هؤلاء المعلمين تعرضوا للغدر من بعض هذه القبائل، وهذا ما تحقق في وقعة الرجيع. فقد أرادت كل من قبيلتي «عضل» و«قارة» من رسول الله ﷺ معلمين كي يعلموهم الإسلام، فأرسل الرسول ﷺ وفدًا من عشرة رجال، وحين وصلت هذه القافلة إلى موقع الرجيع، وقعت في

التربية المعنوية في حياة



محمود سامي رمضان أوغلو

-رحمه الله-

ويتحدث أستاذنا الجليل في كتاب (سيدنا إبراهيم عليه السلام) عن خطاب الله تعالى لنبهه إبراهيم عليه السلام:

"لا ريب يا إبراهيم أنك خليلي، وأنا خليلك. فاحذر من أن أجد أحداً غيري في قلبك عندما أنظر إليه! وإلا فإني سوف أقطع محبتك تجاهي، لأنني أختار لمحبي من حتى إذا أحرقت بالنار فإن قلبه لا يتجه لغيري، ولا ينشغل بغيري..."

فالصحة جمال مكانه القلب، حيث يبدأ ويكبر ويزدهر فيه. وها هو سامي أفندي يريد أن يحملنا ويوصلنا إلى هذه المراحل؛ أي الوصول بقلبنا إلى مرحلة إذا ما نظر إليه فلن يرى فيه شيء غير الله تعالى، ليصبح قلباً مجهزاً ومستعداً للنظر الإلهي. لقد خضع إبراهيم عليه السلام لهذا الامتحان، إذ لما جاءه جبريل عليه السلام وقال له: يا إبراهيم سوف يُلقى بك في النار، فهل تريد مني عوناً؟ أجابه سيدنا إبراهيم عليه السلام بقوله: "حسبي الله ونعم الوكيل". من يشعل النار؟ الله تعالى، ومن يحمدها؟ الله تعالى، فإذا كان الأمر كذلك فهو حسبي.

فهذا هو الحد الذي أراد سامي أفندي أن يوصلنا إليه، وهو الحد الذي عبرنا عنه بتطهير القلب. وكان سامي أفندي طيلة سنوات حياته يقف عند موضوع القلب في أغلب كتبه، والأكثر من ذلك في مجالس دروسه، حيث لم يكن يخلو مجلس من مجالسه تقريباً من ذكر القلب وتطهيره، إذ يقول:

إننا نرى اليوم أنه يتم بين الحين والآخر طرح أمور مختلفة جداً على الأمة باسم التصوف، ونجد أن بعضها لا يراعي الشريعة، ونلاحظ أن بعضها الآخر مقدم باسم التصوف وغارق في الانحرافات والخرافات. لقد كتب السيد أحمد طاش غاتيرن مقالاً في أحد أعداد مجلة (ألتون أولوك) (العدد ٣٢٤) بعنوان (بيد من أمسك؟) وهذا ما حث عليه سامي أفندي، وما حث عليه موسى أفندي وعثمان أفندي. والحق أن الإنسان يتعرض أحياناً خلال مسيرة حياته إلى أزمات وهموم، ويرغب بأن يتمسك بيد ترفعه مما هو فيه. ولكن تلك الأيدي التي يُستمسك بها يمكن أن تكون ملوثة أحياناً من ناحية العقيدة، وأحياناً تكون ملوثة من ناحية المعاش ومصادره، وأحياناً تكون ملوثة فكرياً. ولهذا ينبغي الحرص على الإمساك بأياد نظيفة وطاهرة، ومرافقة أناس طيبين وطاهرين. وانطلاقاً من ذلك فإننا نقول بأن هذا النهج يحمل أهمية كبيرة.

إننا -جماعة آلتون أولوك وجماعة هدائي- نحاول أن نبين هذا النهج ونشره للناس في كل مكان نذهب إليه. هذا النهج الذي يعني أولاً الاعتقاد بعقيدة أهل السنة المستنبطة من الكتاب والسنة، ثم العلم بأحكام الشريعة التي تمثل حياتنا، ثم العمل بهذا العلم، ثم بعد ذلك تزكية النفس وتطهير القلب، والتي تعني تنقية النفس من كل الصفات والحاصل السيئة، وإيصال القلب إلى حالة من الصفاء يصبح فيها أهلاً ليكون محلاً لنظر الله.

"ينبغي الانتباه إلى هذه الأسس من أجل تطهير القلب، فالقلب محل نظر الله".

وكما عبر في كتبه أيضاً بقوله: "الكعبة بناء إبراهيم عليه السلام، وأما القلب فهو بناء الله ومحل نظره". لذا لا تجرحوا القلوب، واعملوا على أن تصبحوا سلاطين في القلوب، وفي الواقع فإنه بنفسه قد أصبح "سلطان القلوب".

كنت أود في بداية حديثي أن أشير إلى أنه ورد في كتاب (سيدنا إبراهيم عليه السلام) دعاء مذكور في القرآن الكريم على لسان إبراهيم: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾. فماذا يقصد إبراهيم عليه السلام بهذا الدعاء؟ إن سيدنا إبراهيم عليه السلام يقول في هذا الدعاء: يا رب اجعل الأجيال القادمة تذكرني بخير. إنه يطلب أن يُذكر عبر كل العصور، وما هو يُذكر مع نبينا ﷺ على لسان أمة محمد ﷺ.

لا بد أن سامي أفندي أيضاً عندما كان يفكر ببرنامج عمله في المساء، ويكتب تفسير هذه الآيات، كان يرد في قلبه هذا الدعاء: يا رب! أسألك دعاء الأجيال القادمة لي. فهذه أمنية كل فان على وجه هذه الأرض. ولا شك أن الله تعالى قد قبلَ دعاء ذاك الإنسان الصالح؛ إذ يُذكر اليوم في قاعات المؤتمرات، وفي المجالس، ويُذكر كل صباح في ساعات السحر، وتقرأ كتبه الآن في أفريقيا، وترجم إلى اللغات الآسيوية. وأنا واثق بأن ذكره سوف يتردد لدى الأجيال القادمة أيضاً. لذلك فإني أعتقد بأن هذا النهج الذي وضعه في أعماله وكتبه نهجٌ مهمٌ ليومنا هذا أيضاً.

وأخيراً أود أن أختم حديثي بمقتطف من تفسيره لسورتي يونس وهود، وربما يكون لنا رسالة ضرورية في يومنا هذا. يقول رحمه الله:

"إن الغاية القصوى من خلق المخلوقات إنما هي توسلهم بأحسن الأعمال في سبيل نيل رضا الله تعالى. ومن الضروري الترفع عن الأعمال السيئة والمنكرة. والمراد بالعمل هو الأعمال المخصوصة بالقلب والأعضاء معاً. لهذا فقد فسر رسول الله ﷺ الآية المباركة ﴿لِيُبْلُوَكُمْ أَتَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ بقوله: "ليبلوكم أيكم أحسن عقلاً، وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله".

أي إن العبرة ليست بكثرة العمل، وإنما العبرة بنوع العمل، العبرة أن يكون العمل في مقام الإحسان. وليكن آخر الكلام من كلام سامي أفندي:

"إن ما يلزم السالك على الطريق الروحاني هو التأدب بآداب الأنبياء والأولياء الصالحين. فينبغي أن يخطو خطواته الأولى في هذا الطريق بالوجه الذي أمر به. وينبغي أن يلتزم بصورة تامة برعاية الأمانة، وبالبقاء على الاستقامة. وينبغي أن يؤدي لكل صاحب حق حقه، وأن يلزم نفسه بأدق الموازين. فإذا راعى الإنسان هذه الأمور فإن الله تعالى يقبله عبداً من عباده الصالحين، ويعزه في الدنيا والآخرة.

وأما إن غدر وظلم، وخان وتكبر، ثم تجبر، فإن الله يطرده عن بابه، فيذله في الدنيا، ويتنقم منه في الآخرة، ويدخله في زمرة المحرومين من رحمته. إن الذي لا يدرك عفو الله تعالى وفضله يعيش في الدنيا شقياً، ويموت شقياً، ويُحشر يوم القيامة شقياً".

نعوذ بالله تعالى من هذه الحال، ونسأله أن يحيينا مؤمنين، ويتوفانا مؤمنين، ويبعثنا مؤمنين، ويحشرنا في زمرة الصالحين.

الألفة والدراية مع الأسرة

إن أحد الأمور التي يوليها أهل الحق أهمية كبرى هو الالتزام الدقيق بـ "الشريعة الشريفة" في حياتهم الأسرية.
لقد أعطوا الأولوية دائماً لمراقبة الحدود الإلهية بدلاً من الخضوع للأهواء والهوس من أجل إرضاء رفقاء حياتهم.
لم يعضوا الطرف عن الهدر والتبذير للعيش في حياة فارهة،
ولم يسمموا سلام أسرهم باقتراض قروض تفوق ميزانياتهم.

الدكتور: آدم أرجول

والود والحقوق من أخذٍ وعطاء مع تغييب للبرود وقلة الاهتمام و البلادة واللامبالاة ما بين الطرفين لأن مثل تلك التصرفات ستقطع الود وتقضي على العلاقات طويلة الأمد.

رحلة الحياة لا تنهمر انهمار الماء في خط مستوٍ مستقيم، بل هي أشبه ما تكون بالبحر المليء بالمد والجزر يطغى ويتسع حيناً وينحسر ويتراجع أحياناً أخرى كالاتساع والانكماش، كالصحة والمرض، كالفرح والحزن! ➔

في الحياة الأسرية، ولا سيما بين الزوجين، تعتبر الألفة والرزق من أهم القضايا التي تؤدي لاستمرار الأسرة أو تفككها.

فكونك زوجاً تعني أنك لست نفسك وحدها.

فالعائلة هي مسمى الانتقال من ثنائية "أنت" و "أنا" إلى وحدة "نحن".

مع الفهم بأن تلك الوحدة يجب أن لا تؤثر على حريتي كفرد وخصوصيتي أي المزج ما بين الألفة

قد راعى أصحاب الحق العادات والأعراف والتقاليد ما دامت لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية، وقد استمروا بهذه السلوكيات في حياتهم الأسرية.



فالحفاظ على الانسجام والألفة مع القدرة على الحفاظ على الحكمة والدراية مبدآن لا غنى عنهما لقيادة الأسرة.

ويؤطره لنا الشارع تعالى في إطار "المعروف" يقول في كتابه الكريم:

﴿...وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ .
(سورة النساء: ١٩) "المعروف" تعني ما يتوافق مع الفطرة السليمة والعامة والعرف. عقل سليم: يعني العقل السليم الذي يفكر بشكل صحيح ويتحرر من عبودية الأفكار الخرافية والجاهلية.

الشريعة الشريفة: هي الخلاصة المستخدمة لأحكام الحياة المستمدة من الأصوليين القرآن الكريم والسنة النبوية العطرة. أما العرف الصحيح فهو العادات والأعراف التي لا تتعارض مع الشريعة. لذلك فإن حياة أهل الحق وتعايشهم المبنية على أساس الرضا عن حياتهم والوئام والسلام نجدها تدور حول مثل هذه "المعرفة".

قد راعى أصحاب الحق العادات والأعراف والتقاليد ما دامت لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية، وقد استمروا بهذه السلوكيات في حياتهم الأسرية.

بادئ ذي بدء تجدهم يعلقون أهمية كبيرة على نعمة العقل التي أكرمنا بها ربنا تعالى مذلنا على الفطرة. فتجد أن سلوكياتهم هي أفضل أمثلة حية على إعمال العقل فيها.

فهم يلفتون الانتباه إلى حقيقة أن عدم استخدام العقل وإهماله سيؤدي للحماقة وأن صداقة الأحمق تؤدي للبلاء والمشاكل.

تشير الكلمات التالية لصاحب الوفا موسى أفندي إلى مدى أهمية الفطرة السليمة في الحياة الأسرية حيث يقول:

"ليس هناك ما يدل على حكمة المرء ومعرفته وعلمه أكثر من معاملته وتوافقه مع الناس.
فالشخص الذكي تراه منشغلاً بتربية وتعليم أفراد أسرته وأولاده.

لا يتركهم من دون مراقبة ومتابعة ليهيموا في الوحدة، بل تجده يبحث عن ما يشغل لهم وقتهم دائماً. فالبطالة والكسل هي منبع كل شر وأذى وفجور، تجد الشخص الذكي يهتم بأن تعيش عائلته وأطفاله حياة سلمية في هذا العالم.

من يتزوج امرأة حكيمة فقد نال كل ما ينال، فالمرأة الذكية كنز لا يقدر بثمن، لذا على من نالها أن يحسن معاملتها وصحتها ولا يفرط بها..

والمقصود بالحكمة والذكاء أي أنها المرأة التي تعرف الله ورسوله حق المعرفة وتؤدي فروضها على الوجه الصحيح، وتحتترم زوجها، وتبلي طلباته منها بشرط أن تكون طلبات مشروعة.

تلك هي الحكمة والذكاء لا ما قد يتبادر إلى ذهن من مواصفات بعض النساء في مجتمعنا اليوم اللاتي يتسمن بالمكر والأخلاق المصطنعة المزيفة والدهاء الشيطاني والمزاجية الغريبة بالمعايير والتي نجدها شائعة جداً في مجتمعنا اليوم في الجمعيات.

فتجد هناك بعض النساء الماكرات اللواتي يقطر العسل من أفواههن تجدهن دائماً مبتسمات يحسن معاملته الجميع ويتوددن لكل يقدرهم الناس من حولهم ويشني عليهم المجتمع من خلفهم، معسولي الكلام حلوي اللسان.. ولكنهن عكس ذلك تماماً مع أزواجهن تجدهن لا يقمن بواجباتهن تجاههم، ينكرن الود ويحتقرن أزواجهن، تجدهن يستخفن بهم وبآرائهم متذمرات عند رؤيتهن عابسات عند استقبالهم لا فطور معداً في الصباح ولا وجه ضاحكاً في المساء فقد تركته هنالك في الشارع وعند الجيرة" ←

ومرة أخرى ، فإن أحد الأمور التي يوليها أهل الحق أهمية كبرى هو الالتزام الدقيق بـ "الشريعة الشريفة" في حياتهم الأسرية.

لقد أعطوا الأولوية دائماً لمراقبة الحدود الإلهية بدلاً من الخضوع للأهواء والهوس من أجل إرضاء رفقاء حياتهم.

لم يغضوا الطرف عن الهدر والتبذير للعيش في حياة فارهة، ولم يسمحوا سلام أسرهم باقتراض قروض تفوق ميزانياتهم، أي وباختصار كانت معاييرهم المتبعة في الحياة من جميع النواحي هي معايير القرآن والسنة النبوية.

لم يسمحوا أبداً في أي فرصة كانت بإلحاق الضرر بأخلاق الإسلام أو حتى التفریط والانخراط في كونهم من أهل الدنيا حتى وإن كان ذاك الانخراط مشروعاً وفي الطرق الحلال، أو السفر من وإلى الأماكن التي لا يمكن فيها مراعاة الخصوصية.

فتجد معاييرهم من كل النواحي هي القرآن والسنة النبوية.

لم يسمحوا أبداً بإلحاق الضرر بأخلاق الإسلام والمسلمين، لم يسمحوا بالمهن التي تسيئ إليه حتى وإن كانت متاحة، ولم يسمحوا بالأماكن التي لا تراعي الحُرمة والخصوصية.

في الزواج ليس نجاحاً
لأحد الزوجين على حساب
الآخر؛ لأنّ الزواج شركة
مشاعة، فإمّا أن يربحاً
معاً، أو تنهار الشركة على
رأسيهما معاً.



إبنة الأستاذ عثمان أفندي تروي لنا القصة التالية:
"لدي ذكرى متبقية مع جدي موسى أفندي:

صديق زوجي العزيز فخر الدين بك، كان قد رتب لنا مكاناً في مدينة فتنية لقضاء العطلة... مكاناً منعزلاً عن الآخرين لا نكون فيه إلا نحن كعائلة.

بالطبع، كان الأطفال سعداء للغاية لذهابنا في إجازة... اشترينا التذاكر وبدأنا بالاستعداد.

ذهبت في اليوم السابق للسفر لأودع جدي. ودار بيننا:

"وكنت أشرح له بحماس جدي العزيز، المكان نظيف جداً، وليس هنالك أحد أبداً وكذا وكذا..."

ولكنّ وجه جدي اكفهر فجأة. وانقبض قلبي وقلت "آه!" "لا بد أنني قد قلت شيئاً ضايقه..." ونظر إلى السجادة لبرهة، ثم رفع رأسه وقال لي: "نحن نحب بورصة".

كنت مذهولاً، من الكلمات، ولكنني سلّمت على الفور، وقلت "حسناً" ولكن كيف سأخبر الأطفال؟..

ومن ثم شرحت للأطفال التغيير في الخطة، بالطبع فوجئوا جميعاً.

وفي اليوم التالي ذهبنا إلى بورصة.

انطلقنا، وفي الطريق، تدمر الأطفال قليلاً، لكنها كانت أفضل رحلة لنا في بورصة، ومكثنا فيها عشرة أيام. إنه مكان ذهبنا إليه عدة مرات من قبل، ومع ذلك، كان لتلك الرحلة نكهة مختلفة. ربما اعتقد أنها كانت نعمة وبركة التسليم."

اقترب أهل الحق من العادات والتقاليد والأعراف وتفهموها، شريطة ألا تتعارض مع الشريعة الإسلامية، وداوموا على مثل هذه السلوكيات في حياتهم الأسرية. فمن المهم أيضاً مراعاة الأعراف في العلاقات مع أفراد الأسرة والأقارب والجيران.





وقد فهم بعض العلماء عبارة "العيش في إطار المعروف" المذكورة في الآية على أنها "خلق طريق سير يراعى في العرف والمعروف".

كما في كل شيء، هناك لكل منا نصيب مختلف في الزواج.

فللبعض الحمد والشكر وللبعض الاحتساب والصبر.

كما اعتبر أهل الحق أن الطلاق هو الحل الأنسب عندما يتحول الأمر إلى الصراع المفرط والقلق وسوء الفهم في الحياة الأسرية.

لأنه وفي بعض الأحيان قد تتحول الحياة الزوجية إلى ظلم بين الزوجين على بعضهما البعض، ولا يصح أن تستمر هكذا حياة.

قال تعالى:

﴿...لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾. (سورة البقرة: ٢٧٩)

بالطبع فالطلاق هو الحل الأخير، يسبقه الصبر والتسامح والعفو فهم الأمور الأساسية.

ومع ذلك، قد تنشأ مثل هذه المواقف ويصير فصل المسارات والطلاق هو الحل الأمثل بل قد يكون حتى النعمة الموهوبة من الله تعالى.

ونستطيع أن نذكر بعض الأمور الأخرى التي يهتم بها أهل الله من أجل سلام الأسرة واستقرارها على النحو التالي:

- يحاولون العودة إلى المنزل في الوقت المحدد كل يوم. لا يختلقون الأعذار بأعمالهم، حتى في حالات المواقف الضرورية الطارئة يتأكدون من أن يقدموا خبراً مسبقاً.

- لا يشاركون أسرار الأسرة مع أحد آخر، لأنهم يعرفون أنه قد يسبب الحسد، فهم يعلمون أنه ليس من الصواب حتى مشاركة الأفراح فما بالكم بالأفراح.

- على الرغم من أنهم يعتبرون أنه من المهم أن يكونوا طيبين ورقيقين مع أسرهم، إلا أنهم لا يبالغون في ذلك ولا يعاملون أزواجهم كأطفال صغار.

- يعتبرون أن التحلي بالحكمة في إدارة الأسرة أمر ضروري لحياة منظمة. لذا نجدهم لا يغضون الطرف عن شيء.

- عندما يكون أحد أفراد أسرته مريضاً أو بحاجة إلى رعاية، فإنهم يتفرغون لرعايتهم وخدمتهم على أحسن وجه وبأكبر حساسية.

- إدراكاً لحقيقة أن أحد أهم الحقوق هو حق الأسرة، فإنهم ينتهون عن الظلم والقسوة وإيذاء القلوب عدواناً.

وكخلاصة لكل ذلك فإن استثمار الاهتمام والصدقة والألفة والرضا عن النفس والحب والرحمة ما بين الأسرة سيحول المنازل إلى روضة من الجنان، ويجعلها وسيلة للفوز لكل فرد في الأسرة.

فتكون الطاعة بشكلها الأجمل والأمثل في الأسر القويمة الهناءة.

فرضى الله تعالى لا يكون في الفساد ولا في الشجار بل تجده في السلام والصلح والسكينة.

دلال

من دون تعيين

يوجد في الأسواق عدد من الدالّين غير المعيّنين، ينادون على الناس ليأخذوا بأيديهم ويذهبوا بهم إلى شيوخهم، بغض النظر عن كون الرجل الذي يقتادونه جاهزاً أم لا، وهل اتجهت إرادته لسلوك هذا الطريق السامي، وهل لديه رغبة لأن يكون مريداً أو لا. بل كان يأتي الجواب على هذه التساؤلات بالقول: "ستحدث هذه الأمور فيما بعد يا سيدي، وإن هذا العصر عصر فتن، فدعونا ننقذ إيمان هؤلاء وفيما بعد سيلغون التحقيق التقليدي إن شاء الله!..."

هكذا إذاً!.. ماذا أقول سوى: إن شاء الله يحدث ذلك!..

ولكن انظر ليس من حقل الشكوى والتذمر فيما بعد. فتقول: "سيدي لا يُعد مريدين جيدين الآن. وفي الماضي كان هذا العمل مختلفاً". إذاً فليس من حقل التذمر!..

أجل؛ لقد كان هذا العمل مختلفاً في الماضي. حيث كان الإنسان ينظر إلى محاسنه، ويقول لنفسه: "أنا أيضاً أريد أن أكون هكذا" ثم يأتي إلى الباب. ولكن لم يكن يؤخذ مباشرة. وإنما كان الأمر يتطلب بعض التمتع، والتوسل. وعلى الأقل كان يُطلب من القادم الاستخارة... كان يُقال للقادمين كما يقول سيدنا حبيب الله مظهر، وشاه عبد الله الدهلوي:

- "هنا حيث تُلقح حجارة ملساء خالية من الملح. اذهب وابحث لك عن مكان فيه متعة وحماس وشوق".

وكان الطلبة يقولون كما يشير إلى ذلك الدهلوي:
- "وأنا أبحث عن لعق حجارة خالية من الملح".

لم يكن في الماضي يُجمع الرجال من الأزقة والطرقات كما يحدث اليوم. فقد كانوا يقولون للطلابين: "لا يمكن للمولع بمتعته، وأهوائه، وراحته، أن يكون طالب حق".

ويذكرونهم بجهاد النفس، والجهاد الأكبر، فلم يكونوا يريدون المعذورين في الوظائف.

والحاصل؛ لقد كان المريد يتضرع ويتوسل، والمرشد يتمنع ويتدلل. فلم يكن المريد يمنن بقدمه. إذ أن قبوله من قبل المرشد كان يُعد سعادة وحسن طالع بالنسبة له.

سمعت من العم محمد مزراكجي المرعشي يقول: "لقد كنت قد تلقيت دروساً من حضرة محمود سامي رمضان أوغلو أفندي. فلم يكن عشق وحماس

وشوق هذه الحياة الجديدة يدعني أهدأ وأسكن. كنت أدعو كل من أعتقد أنه مناسب ومستعد لسلوك هذا الطريق المعنوي المبارك. وذات يوم ذهبت إلى اسطنبول لزيارة سلطاننا. وخلال الجلسة مال إلي وهمس في أذني قائلاً: - يا مزراكجي أفندي، إننا لم نعينك دلالاً على مرعش. فتجمدت في مكاني...".

أجل؛ سيكون أمراً جيداً إذا تعامل الشيوخ مع هذا العمل

وتدخلوا فيه بشكل حسن كما فعل سامي أفندي، فقد رمى المريدون الأغرار هذا العمل بين الأقدام. يظهر من الحال السائدة اليوم وكأنه لا يُسأل ولا يتوقف على هذه الأمور:

فلا يسأل هل الناس مؤهلون ومستعدون للخروج في هذا الطريق المعنوي أم لا؟ وهل لديهم الرغبة والإرادة للسلوك؟

وهل مستعدون للأعمال والوظائف المتعلقة به؟".

حيث يمسون بيد كل من يجدونهم في الطرقات ويقتادونهم إلى التكايا ويلقون عليهم الدروس دون الالتفات إلى هذه الأسئلة وأمثالها. يأخذون من يأخذونهم، ولكن يا ترى كيف يلقي المعلمون الدروس؟.

يخطفون المريدين المزعومين ثم يخلون سبيلهم. ولا يعلم أحد بعد ذلك أين هذا المريد المجاز والمطلق سراحه، وماذا يعمل، وهل يقوم الليل، وهل يتجهج، وهل هو مشغول بذكر الله تعالى، وهل طعامه وشرابه من حلال أم من حرام، ومن هم الذين يرافقهم ويتعامل معهم... إلخ؟.

وإذا ما ألححت قليلاً فالذريعة جاهزة: "يجب أن يكون الأمر كذلك، فالزمن سيء جداً. فالزمن ليس زمن اكتساب الكمال، وإنما زمن إنقاذ الإيمان. ولعله يُنقذ الإيمان بمحبة الأولياء".

ليس هذا هو الغاية من التصوف والطريقة، فزيادة العدد لا تجلب فائدة للطريق! أجل، دعونا نفعل كل شيء من أجل إنقاذ إيمان الناس، ولكن دون إفساد شيء من القيم الأخرى بإذن الله تعالى!.



﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾



إن الماء هو الوسيلة الأكثر ضرورة لتنظيف المحيط وتوفير النظافة، والأكثر من ذلك فإن استمرار الحياة مرتبط بالماء، لأن الماء فيه حياة، وهو أصل كل شيء حيٍّ، يقول الله تعالى في الآية الكريمة:

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (النور، ٤٥؛ الأنبياء، ٣٠)

قد جعل الله تعالى في الماء ميزات متنوعة، ومنها ما يلي:

(١) إن المركب الأقرب إلى الماء هو كبريتيد الهيدروجين (H₂S) مع أنه أثقل من الماء بضعفين فإنه يكون بخاراً في حرارة الغرفة، بالإضافة إلى أنه غاز ذو رائحة سيئة وسامة، ما يعني أن الله تعالى خلق الماء خصيصاً للإنسان.

(٢) إن الماء عندما يكون في أكثر أحواله كثافةً يكون مائعاً في درجة (٤+) على عكس نظائره من المركبات الكيميائية التي تكون ثخينة أي لا تكون في حالة مكعبات الثلج، وبهذا الشكل فإن المياه في البحار والأنهار والبحيرات يبدأ التجمد فيها من السطح ممتداً إلى القعر وليس العكس، وهذا يحول دون تجمد المخلوقات البحرية بالماء المتجمد على السطح.

(٣) ثم إن درجة تجمد الماء وجليانه هي الأنسب لعيش المخلوقات العضوية فيه من حيث درجات الحرارة.

(٤) إن لتقاطب الماء ميزة تجعله يحلُّ الكثير من المواد العضوية وغير العضوية.

يشير القرآن الكريم في مواضع كثيرة إلى الماء، حيث يتحدث عن كيفية تشكّل المطر ومراحل تحوّل السحب إلى المطر وإنزاله إلى الأرض بقدر معين وإحيائه الأرض الميتة، ويتكلم عن المياه الباطنية وتكرير الماء وتنقية الماء الملوّث. (انظر: النور، ٤٤؛ الزخرف، ١١؛ الزمر، ٢١؛ الواقعة، ٦٨ - ٧٠)

ويلفت الأنظار إلى أن كل ذلك يعدُّ نعماً كبيرةً، والله تعالى يطلق على المطر اسم الرحمة. (انظر: الأعراف، ٥٧؛ الشعراء، ٢٨)

إن أكثر من يدرك قيمة الماء هم المسلمون، فيدعون لمن يكرمهم بتقديم الماء إليهم: «جعلك الله عزيزاً كالماء»، ولذا يلقي خدام الماء احتراماً كبيراً، وبالأخص مقدّمي الماء والعصير في البيت الحرام إلى الحجاج فإن فيه شرفاً كبيراً وهي وظيفة مهمة.



﴿الدكتور: مُراد كيا﴾

عن ابن عباس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية فاستسقى، فقال العباس: يا فضل، اذهب إلى أمك فأت رسول الله ﷺ بشراب من عندها، فقال: «اسقني»، قال: يا رسول الله، إنهم يجعلون أيديهم فيه، قال: «اسقني»، فشرب منه، ثم أتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها، فقال: «اعملوا فإنكم على عمل صالح» ثم قال: «لولا أن تغلبوا لنزلت، حتى أضع الحبل على هذه» يعني: عاتقه، وأشار إلى عاتقه (البخاري، الحج، ٧٥/١٦٣٥)

كان للعباس عم النبي ﷺ كرم عنب، فكان قبل الإسلام وبعده يحمل العنب الجاف من هناك ويضعه في زمزم ثم يقدمه للحجاج، وواصل أبناؤه وأحفاده القيام بذلك من بعده. (انظر: ابن هشام، ٤، ٣٢؛ ابن سعد، ٢، ١٣٧؛ الواقدي، المغازي، بيروت ١٩٨٩، ٢، ٨٣٨)

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية فاستسقى، فقال العباس: يا فضل، اذهب إلى أمك فأت رسول الله ﷺ بشراب من عندها، فقال: «اسقني»، قال: يا رسول الله، إنهم يجعلون أيديهم فيه، قال: «اسقني»، فشرب منه، ثم أتى زمزم وهم يستقون ويعملون فيها، فقال: «اعملوا فإنكم على عمل صالح» ثم قال: «لولا أن تغلبوا لنزلت، حتى أضع الحبل على هذه» يعني: عاتقه، وأشار إلى عاتقه (البخاري، الحج، ٧٥/١٦٣٥)

وبين النبي ﷺ فضيلة تقديم الماء للناس فيقول:

«يصف الناس يوم القيامة صفوفا - وقال: ابن نمير أهل الجنة - فيمر الرجل من أهل النار على الرجل فيقول: يا فلان أما تذكر يوم استسقيت فسقيتك شربة؟ قال: فيشفع له، ويمر الرجل فيقول: أما تذكر يوم ناولتك طهوراً؟ فيشفع له قال: ابن نمير - ويقول: يا فلان أما تذكر يوم بعثتني في حاجة كذا وكذا فذهبت لك، فيشفع له» (ابن ماجه، الأدب، ٨/٣٦٨٥)

وقد كان النبي ﷺ يهتم بأن يكون الماء نظيفاً وعذبا، فيرجح الآبار ذات المياه العذبة. (ابن حجر، الإصابة، ٣، ٦١٥) وإن الإسلام يشترط في ماء الوضوء كونه نظيفاً، ويمنع استخدام الماء الذي تغيرت أوصافه من طعم أو لون أو رائحة.

وبما أن للماء هذه الأهمية العظيمة فيلزمنا استخدامه بحقه، لقد أجرى العالم الياباني الدكتور ماسارو إيموتو أبحاثاً حول بلورات الماء ولاحظ انتظامها وجماليتها وتركيبها السداسية إلى جانب جمال شكلها البالغ في الروعة حدّاً يُشعر به الإنسان في منابع الماء الطبيعية التي لم تصل إليها يد إنسان.

ملاً وعاءين من هذا الماء ثم شرع بتجربته، فلاحظ أن الماء الموجود في الإناء الأول وقد قام بالهمس له بالفاظ تفيد الامتنان والدعاء لم تفقد بللوراته وروعتها الطبيعية، وأما الإناء الآخر الذي تلقى ألفاظاً قبيحة كالشيطان وغيره من الألفاظ فقد وجد بللوراته قد تفتت وفسدت أشكالها وفقدت كل ميزاتها الجمالية.

وفي التجربة نفسها كانت ردّات فعل المياه مختلفة مقابل الموسيقى الجميلة واللطفية والإيقاعات المزججة والبشعة. أجريت تجارب مشابهة لهذا على الأرز المطهون وعلى الأزهار فبقيت التي لاقت تصرفاً جيداً طازجة وأما الأخرى فذبلت وفسدت.

يجب د. إيموتو: على سؤال:

«ما مدى تأثير التفكير السليم والجميل والمعاملة الجيدة للماء على جسم الإنسان؟» فيقول: «هذه حصيلة بحث استمر ٧,٥ أعوام، فلقد كان للمياه التي أسمعناها كلاماً جميلاً ولطيفاً تأثيراً واضحاً وإيجابياً في معالجة مرضى السرطان وأشباههم الذين سقيناهم منه» وفي هذا الصدد يكون من الواجب علينا أن نحب جميع الناس والحيوانات والنباتات والبيئة وباختصار كل الدنيا ومن ثم التعامل معها كلها بالحسنى.

وثمة أمر آخر لا بد من ذكره ههنا ألا وهو عدم الإسراف في الماء وغيره: يقول الحق تعالى:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا...﴾ (الأعراف، ٣١)

ويقول الرسول ﷺ في الحديث الشريف:

"كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا، في غير إسراف ولا مخيلة" (البخاري، اللباس، ١)

ولا سيما الماء فلا يجوز إسرافه بأي شكل من الأشكال، لما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه مر على سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وهو يتوضأ

فقال: «ما هذا السرف» فقال: أفي الوضوء إسراف، قال: «نعم، وإن كنت على نهر جار» (ابن ماجه، الطهارة،

إني على طريق الحياة مسافر غريب

إني رجل كثير الترحال والأسفار
لأسباب مختلفة. ففي كل أسبوع أسافر مرة
واحدة على الأقل خارج المدينة، وفي الغالب
أتنقل في رحلاتي بواسطة الطائرة. إن طريق السفر
طويل، وساعات الرحلة طويلة، ورفاق الطريق كثيرون
ومختلفون. إنك تتشارك مع أناس من أعمار مختلفة،
وذوي طباع وشخصيات متنوعة في المكان ذاته، والظروف
ذاتها تقريباً، وإنك تحصل ولو بنسبة قليلة على تعارف وألفة ناتجة
عن التشارك الاضطراري. وقد لاحظت خلال رحلاتي نتيجة المراقبة
والرصد، وعلاقات التعارف والتآلف مع رفاق الطريق الاضطراريين أن هناك
صنفين من المسافرين.

أما الصنف الأول منهم فهو المسافر المتشائم. فهذا النوع يتميز بالتوتر
والاضطراب الآني وغير المبرر، ويرقب وينظر إلى من حوله بعين الشبهة
والريبة، وكأنه يقول: "كيف صرت هنا"، ويرقب حدوث مشكلة لأتفه
الأسباب. ولا تسمع منه سوى التآفف والشكوى والتذمر، ولا يتحدث مع
الآخرين ممن حوله، وإذا ما حاول أحد محادثته فإنه يرد بأسلوب بارد
مغلقاً باب الحديث سريعاً. ومثل هذا النوع يُعرف من تقاسيم وجوه
أثناء تقديم ضيافة الرحلة فإنهم لن يرضوا بها ولن تعجبهم، فهم إما
يتناولون منها لقمة واحدة أو يردونها كما قدمت لهم. ثم إنهم
يبدؤون بالشكوى والتذمر من مذاق الطعام، أو مستوى الملح

نهايته باستمتاع، ثم ينتقلون إلى قائمة الموسيقى فيختارون معزوفة ويبدؤون بالنوم على أنغامها الهادئة المريحة. وعندما يتم إيقاظهم من أجل وجبة الطعام فإن الناظر إليهم يشعر وكأنهم كانوا نائمين في أنعم فراش للبشاشة والابتسامة الجميلة التي تبدو على وجوههم. وأما على مائدة الطعام فإنهم حتماً يعثرون على أشياء تعجبهم، ويتلذذون بها حتى أنك تشتهي أن تأكل الطعام الذي أمامهم ولو كنت شعباناً. ثم إنهم في كل محطة لا بد أن ينزلوا من الطائرة إلى أرض المطار مهما كانت

مدة الرحلة قصيرة، ويحاولون استكشاف أشياء جديدة، ومن المؤكد أنهم يعثرون على شيء. وإنهم يستمتعون بطعم نهاية الطريق، ويتلذذون بكل ثانية عند اقتراب الطائرة من أرض المطار. ويكون حالهم عند انتهاء الرحلة وكأنهم لم يسافروا، ويحدثون أصحابهم أحاديث طويلة عما شاهدوه خلالها.

إن الحياة بدورها عبارة عن رحلة ونحن جميعاً مسافرون فيها.

وبإمكاننا ان نكون فيها المسافرين المتشائم الذي ينظر إلى كل شيء خلال الرحلة نظرة سلبية، ويسمم جو الرحلة على نفسه وعلى من حوله؛ كما بإمكاننا أن نكون المسافرين المتفائل المرح الذي يستمتع بكل لحظة من لحظاتها، ويجد شيئاً مثيراً ليتحدث به عن الرحلة. يجب علينا ونحن نودع عاماً جديداً أن نتخلص من كل مظاهر التشاؤم التي صادفناها على الطريق ونرميها خلفنا، ونكمل الطريق نحو المستقبل بتفاؤل ومرح ومتعة. رحلة سعيدة...



فيه، أو نوعه، أو طريقة تقديمه بطريقة يسمعها من حولهم. ويتوجهون إلى الشاشة الموجودة أمامهم فيقبلون كافة قنواتها وبرامجها وسرعان ما يغلقونها دون أن يعجبهم شيء منها، ثم يحاولون النوم بعصبية. وبعد التقلب والتأفف، وتغير تعابير وجوههم وتلونها والعجز عن النوم ينهض أحدهم ويبدأ بالسير في الممر جيئة وذهاباً، ويلقي بنظراته التي يملؤها الغضب والحنق على النائمين بهدوء، أو على من يستمتعون بمشاهدة القنوات أو الأفلام. وما إن تلامس عجلات الطائرة الأرض حتى تراه

نهض من مقعده، وأخذ يتناول حقائبه. ثم يبقى واقفاً بوجوم والحقائب في يده لمدة ١٥ دقيقة محولاً كل ثانية منها إلى سم على من حوله. وبعد انتهاء الرحلة يلزمهم ضعف مدتها ليرتاحوا من عنائها.

وأما الصنف الثاني فهو المسافرين المتفائل. وهذا النوع من المسافرين يبدأ كل رحلة يقوم بها وهو على ثقة تامة أنه سوف يجد متعة وسعادة جديدة، ومن ثم فإنه

يخوض رحلته بوجه بشوش، ونظرة متفائلة تحولها إلى متعة وفرح. وأول ما يفعله هؤلاء في رحلتهم أن يتمنوا رحلة سعيدة وموفقة لمن حولهم، ويتحدثون معهم حسب موقفهم وردات فعلهم؛ وهم في كل مرة تحلق فيها الطائرة نحو السماء ينظرون من النافذة إلى الأرض ويدهشون مما يرونه من مناظر عجيبة على سطحها وكأنهم يرون أعجب ما فيها. وخلال الرحلة يشغلون الشاشة التي أمامهم فيختارون فلماً يعجبهم من القائمة، ويتابعونه إلى

المؤمن لا ينقطع عمله

قال رسول الله ﷺ:

(والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله، فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً، فيسأله أعطاه أو منعه). [البخاري، رقم ٢٣٧٣]



المؤمن إنسان القرآن. فبالقرآن يستدل على طريقه ويسلكه. والقرآن يشكله. وعندما يدل القرآن الكريم المؤمن على المنهج أو الطريقة التي يصبح فيها منشراح القلب مطمئناً، فإنه يشير في سورة الانشراح إلى أن عمله دائم لا ينقطع، حيث يقول:

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح: ٧]

فالانشراح يعني السرور وانفراج السريرة. إن القرآن الكريم دليل حياة المؤمن، وعندما يرشده إلى طريق الانشراح فإنه يدعو إلى الانتقال من عمل إلى عمل. لقد صارت الدنيا مكاناً قابلاً للحياة لكون النهار يعقب الليل، والليل يعقب النهار. فلولاً تعاقب الليل والنهار لتوقفت الحياة على الأرض.

وإن مفهوم العمل لدى المؤمن كتعاقب الليل والنهار، وحلول أحدهما محل الآخر بالتناوب. حيث أنه يستمر بالسعي متنقلاً من عمل إلى عمل. فهو ما إن ينتهي من العبادة حتى يتجه إلى مكان العمل، وما إن يعود إلى بيته من العمل حتى ينتقل إلى الوقف، ومن الوقف يتحول إلى صلة الأرحام، ومن هناك ينتقل إلى حيث يجب أن ينتقل المؤمن. وهكذا فإن المؤمن يصبح مرتبطاً بنظام القلب المنشراح الذي دله ربه تعالى إليه.

إن المؤمن الذي بحالة سعي وعمل دائم يكون فعالاً ونشطاً أكثر من المؤمن الذي يستخدم أوقاتاً معينة لعمله. فالإنسان الذي هو متواصل العمل،



وكثير الانشغال ينجز أعمالاً أكثر. حيث من المؤكد أن "الذين ينشغلون بأعمالهم ينجزونها حتماً".

وأما الذين يبحثون عن أجواء وأوقات مناسبة لإنجاز العمل المطلوب منهم فلن يجدوا ما يبحثون عنه. حيث إنَّ بحث الإنسان الذي يفتش عن دنيا يسودها ربيع دائم لا صيف فيها ولا شتاء لإمضاء يوم جميل بحث عبثي عقيم. فالدنيا ليست مكاناً لمثل هذا الأمر، وإنما الدنيا مكان لمن يعرفون العيش وسط العواصف والأمواج العاتية، مكان لمن يبحثون عن العمل داخل العمل.

إن المؤمن رجل أعمال. ولأنه رجل أعمال فإنه لا يتوانى أبداً عن استخدام الطاقات والإمكانات التي أكرمها الله تعالى بها حتى النهاية. وإنه صبور، ومن أهل الثبات. وبالنظر من هذه الناحية فإن دخول الإنسان في دائرة الإيمان يشكل سداً مانعاً أمام اعتبار عمل ما عائقاً لعمل آخر. فالتدرع بكثرة الأعمال أمر غير مقبول. كما ليس من المقبول للإنسان المؤمن إمضاء العمر بعمل واحد والتفوق ضمن حلقة مفرغة عقيمة بينما يعيش الحياة بكل ألوانها وتنوعها.

وإن أداء كل عمل بإتقان وبأفضل صورة يمكن أدائه بها صفة مميزة للمؤمن. فالمؤمن لا يقدم على عمل اعتباطي وعشوائي. وإن اتقان المؤمن هذا ليس برخصة مخصصة لعمل واحد يبدأ وينتهي فيه. وإنما المؤمن يقوم بالأفضل من جهة، ومن جهة يُتبع العمل بعمل آخر، إذ ما إن يفرغ من مهمة حتى يتحول إلى أخرى. ولا يمكن أن يشكل التخصص عائقاً أمام هذه الاتقان. فاختصاصنا بفرع ما هو اسم يُطلق على الإمكانية التي بين أيدينا لتأمين رزقنا. وأما ما نقصده

بالعمل كمؤمنين فليس العمل الذي نقوم به لتأمين رزقنا. وإنما ننظر إلى العمل من زاوية أوسع. فكما أن الحياة لن تكون مجرد عمل في مصنع فإن العمل كذلك ليس مجرد العمل في المصنع أيضاً. فالعمل بالنسبة للإنسان المسلم الذي يستسلم للإسلام المحيط بالحياة بكل نواحيها هو كل عمل يقوم به وينبغي القيام به حتى تسليم روحه لخالقها.

يمكن أن نبدأ قائمة العمل بالعمل الذي نقوم به لتأمين رزقنا. فالمؤمن ينظر إلى العمل الذي يؤديه لتأمين رزقه وأسباب معاشه على أنه عبادة، وكذلك يرى كل سعي متعلق به من بين الأعمال

"التي ما ينتهي من أحدها حتى ينتقل إلى الآخر".

فإدارة شؤون البيت عمل، وكل مسؤولية كُلف بها الرجل أو المرأة من قبل الله تعالى بشأن البيت عمل أيضاً. والمؤمن يرى هذا العمل عبادة، وحتى يعتبره نوعاً من الجهاد أيضاً. ومن أهم وأولى الأعمال في البيت المحافظة على الشرف والعفة، وتربية الأبناء، وخدمة الأبوين.

ويرى المؤمن أن أداء العبادات وعلى رأسها الصلاة من بين الأعمال المكلف بإنجازها. حتى أنه يعتبر أن لا معنى لحياته من دون هذه العبادات وفي مقدمتها الفرائض. وعندما تكون هذه العبادة معادلة للجهاد فإن وتيرة العمل والسعي تزداد، ويبلغ أمل الكسب والفوز ذروته. ويصبح المؤمن أكثر حماساً وإنتاجاً وإثماراً.

لا يمكن أن يكون المؤمن سلبياً وانطوائياً في الحياة أبداً. فليس للمؤمن التفكير بالخروج إلى الجبال والاعتزال فيها ليكون مؤمناً صالحاً. فالمؤمن

المؤمن لا يمكن أن يكون سلبياً وانطوائياً في الحياة أبداً. فليس للمؤمن التفكير بالخروج إلى الجبال والاعتزال فيها ليكون مؤمناً صالحاً. فالمؤمن إنسان يعمل على توجيهِ المجتمع الذي يعيش فيه وفق إيمانه. والمؤمن إنسان اجتماعي. فلا يمكن أن يكون تصوره ومفهومه للحياة محدوداً بحدود بيته.

إنسان يعمل على توجيه المجتمع الذي يعيش فيه وفق إيمانه. والمؤمن إنسان اجتماعي. فلا يمكن أن يكون تصوره ومفهومه للحياة محدوداً بحدود بيته. وليس بالرجل الذي تمتلئ قائمته بأقربائه فحسب. فالمؤمن إنسان الأمة؛ فهو موجود بالأمة، وللأمة. ولهذا فإنك تراه وقت الظهيرة في جنازة أحد إخوانه المؤمنين، وعند العصر مشاركاً في فرح مؤمن آخر، وفي المساء تراه مجتمعاً مع إخوانه المؤمنين إما في مقر إحدى الجمعيات، وإما في إحدى حلقات التدريس أو الذكر. ولدى العودة إلى البيت في الليل تراه في السرير مع امرأته.

إن المؤمن فعال ونشط، فهو مستعد لأي عمل أو مهمة يكلف بها، وينجز ما يكلف به بإتقان، وهو بهذه الحال يحمل ذات الأوصاف التي كان يتمتع بها أولئك الذين حولوا الإسلام إلى دولة عظيمة خلال ثلاث وعشرين سنة. فالحفاظ على استمرار جيل الصحابة الذين كانوا ينجحون في اللقاء بأزواجهم والاهتمام بأبنائهم وهم في خضم النضال والتنقل من جبهة إلى أخرى لا يكون

بالرثاء والوقوف على الأطلال، وإنما بمفهوم الجد والسعي والعمل الذي نتحدث عنه. فقد صار هذا الجيل الذي حمل الدنيا في كفه إلا أنه ظل ساجداً وكأن جبينه قد التصق بسجادته، صار في هذه الدنيا رمزاً للعمل والسعي.

وإن المؤمن بدوره هو الإنسان الذي يتبع إيمان هؤلاء، ويتبنى مفهوم العمل الذي كانوا يحملونه. فشعاره بذل كل ما بوسعه بدل اختلاق الحجج والمعاذير. والمؤمن إنسان يقف في مركز الحياة بكل زمان ومكان لذلك فإن عمله لا ينقطع ولا ينتهي، ولا يريد أن ينتهي أبداً. فكلما فرغ من عمل شرع في عمل آخر، فمهمته لا تنتهي. وإن كثرة العمل لا تنهكه ولا تصيبه بالملل. فهو يعتبر أنه وُجد من أجل العمل والسعي. فالمؤمن مثل الشمس، يمنح الحرارة للتراب وللماء معاً.

علينا أن نفكر؛ هل نفرح لانتهاء الأعمال التي بين أيدينا. وبم سنفرح يا ترى؛ هل نفرح لانجاز عمل واحد من بين الأعمال التي تعامينا عنها ونحن مؤمنين؟ أليس هذا الفرح بكاء في الحقيقة؟

سبب الشعور بالضيق

من المعلوم أن سبب ما يشعر به الإنسان من ضيق في صدره في هذا الزمان إنما هو الريح غير المشروع، والاعتداء على حقوق العباد، وعدم القناعة، والحرص، فإذا أراد الإنسان أن ينجو من هذه الأعمال والصفات السيئة، فعليه مراعاة

الأحكام الإسلامية التي تحذر دائماً من الاعتداء على حقوق العباد، وتحث على الريح الحلال.

فكما أنه من الضروري تنقية أطنان كثيرة من التراب للحصول على غرام واحد من الذهب، فإن الريح من الحلال في الظروف الاقتصادية في أيامنا هذه يُوجب علينا سعيًا كبيرًا ودقةً وانتباهًا.



إدخال السرور في قلب اليتيم

العبرة من القصة: إن إدخال السرور إلى قلب اليتيم ورعايته من أفضل الأعمال الصالحة التي حثَّ الإسلام عليها كثيرًا ولها أجر عظيم جدًا، والوعد الذي أعطاه رسول الله ﷺ في الحديث الآتي يروق القلوب العاشقة: «كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة»، وأشار راوي الحديث مالك بن أنس بالسبابة والوسطى. (مسلم، الزهد، ٤٢)

وعن مالك بن عمرو القشيري رحمه الله عن النبي ﷺ قال: «من ضم يتيماً من بين أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله وجبت له الجنة». (أحمد / ١٩٠٥٢)

وفي حديث آخر يقول ﷺ: «مَنْ مسح رأس يتيماً لم يمسحه إلا لله، كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنات»

(أحمد، ج٥، ٢٥٠)

ويُقصد

بالمسح في هذا الحديث الاهتمام بمسائل اليتيم كلها المادية والمعنوية.

الأستاذ: عثمان توري طوباش

جعل الإسلام مسئولية كفالة اليتيم فرض كفاية على الأمة يقوم به البعض وإلا أثم الجميع، قال تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنْ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٢٠)

يقول السري السقطي:

«رأيت معروفاً الكرخي في أحد أيام العيد يجمع نوى التمر في الطريق، فسألته عن سبب جمعه إياها، فقال: (رأيت طفلاً صغيراً يبكي، فسألته عن حاله، فأخبرني أنه يتيم يبكي لافتقاره إلى ثياب ودمى يتنعم بها كغيره من الأطفال، ثم بكى مرة أخرى، فأشفقت عليه؛ لذا أجمع نوى التمر كي أبيعها، وأشتري له بها ثياباً ودمى).

فأشفقت أنا أيضاً على الصغير واكتوى قلبي لأجله، فرجوت الشيخ قائلاً:

(اأذن لي أن أهتم بهذا الطفل، ولا تشغل فؤادك به)، ثم أخذت الطفل وليتت احتياجاته».

ويوضح السري السقطي الحالة التي وصل إليها ببركة هذا العمل الصالح بقوله:

«لقد دخل النور إلى قلبي ببركة هذه الخدمة، فصرت في حالة مختلفة كلياً، وتذوقت اللذات الروحانية الكثيرة».

الأدب

تعالى وتحت نظره يبذل جهده كي يكون في حاله تليق بالوقوف في حضرة ربه جل جلاله. وعندما يهٲم على ارتكاب ذنب حيث لا يراه أحد من الناس، فسرعان ما يتذكر الله ويقول في نفسه: "كما أن ربي سبحانه وتعالى يراني في أحوالي كلها، فإنه يراني في هذه اللحظة أيضاً، وهناك ملائكة عن يميني وشمالي تسجِّل ما أقدم عليه من عمل"، ثم يتراجع عن اقتراف تلك المعصية. إن المجاهدة للتخلي بالأدب تجعل حجاب الحياء بين العبد والمعصية، وتمنعه من ارتكاب المعاصي والذنوب.



لقد أساء الشيطان
الأدب مع ربه سبحانه
وتعالى، فكان جزاؤه
الطرد من حضرة الله
سبحانه وتعالى.

العبد ينبغي أن يكون قدوةً في الأدب قبل كل شيء، وأن تتزين أعماله بزيينة الأدب. ينبغي أن يكون قادراً على نقل أعماله إلى حضرة الله سبحانه وتعالى بكل طمأنينة قلب.

ولكن ما بال المعاصي؟

نسأل الله أن يعفو عنا ويغفرها لنا...

أليس ارتكاب العبد
للمعاصي من قلة
الأدب؟

إن العبد الذي
يعي ويدرك
بأنه يعيش في
كل لحظة من
لحظات حياته
بين يدي الله

وهو الآن يبحث ويفتش في كل آن ولحظة عن صاحب له. وطالما أن الله تعالى كافٍ للعبد، فلم يورط العبد نفسه في صحبة مع الشيطان البعيد عن الأدب؟.. يقول مولانا جلال الدين الرومي:

"سأل قلبي عقلي: ما الإيمان؟ فهمس عقلي في أذن قلبي قائلاً: الإيمان هو الأدب".

وعندما يُذكر الأدب، فإن أول ما يخطر في بال الإنسان سيدنا عثمان بن عفان ؓ. لقد كان حياء عثمان بن عفان ؓ الذي قال عنه النبي ﷺ:

"أكثر أصحابي شبهاً بي" وتشرف بزواجه من ابنتي النبي عليه الصلاة والسلام، حياء لا مثيل له تذكره الألسنة إلى يومنا هذا.

كان عثمان بن عفان ؓ قدوة من حيث شدة الإحساس بالحياء.

وحتى الملائكة كانت تستحي

منه، إذ بينما النبي ﷺ كان جالساً

وعائشة ؓ وراءه، استأذن أبو

بكر ؓ فأذن له فدخل، ثم

استأذن عمر ؓ، فأذن له فدخل،

ثم استأذن سعد بن مالك ؓ فأذن

فدخل، ثم استأذن عثمان ؓ والنبي ﷺ

يتحدث مضطجعا كاشفاً عن ركبتيه، فعدل مجلسه

ومدّ ثوبه على ركبتيه، وقال لامرأته استأخري عني، ثم

أذن له فدخل. فتحدثوا ساعة ثم خرجوا.

فقالت عائشة ؓ: -يا رسول الله، دخل عليك

أصحابك، فلم تهتش لهم ولم تبالهم، لم تصلح ثوبك

على ركبتيك، ولم تؤخرني حتى دخل عثمان؟ فقال

رسول الله ﷺ:

- يا عائشة، ألا أستحي من رجل تستحي منه

الملائكة؟ والذي نفسي بيده، إن الملائكة لتستحي

من عثمان بن عفان كما تستحي من الله ورسوله، ولو

دخل وأنت قريبة مني لم يرفع رأسه، ولم يتحدث حتى

يخرج. (انظر: مسلم: فضائل الصحابة، ٣٦)

لقد كان عثمان بن عفان ؓ الذي يُعد قامة شامخة من قامات الحياء والأدب يعمل على إرشاد الناس في مسألة الحياء فيقول لهم:

"غض البصر عن المحارم خير حجاب للشهوة".

ينبغي للمرء أن يكون متأدباً مع ربه سبحانه وتعالى

في كل حركاته وسكناته؛ في حديثه، ومشيته، ومجلسه،

وقيامه، وقعوده. وينبغي أن نتفكر في سلوك نبينا وحبينا

ﷺ، لماذا لم يكن يضحك قهقهة، وإنما كان يبتسم؟

ولماذا كان يسير بوقار واضعاً نظره موضع خطواته دون

أن يلتفت يمناً أو يسرة؟

وينبغي أن نتخذ صلاته وتلاوته للقرآن الكريم

وطريقة حياته قدوةً لنا، لذلك يجب أن نتعلم

الأدب ونعيشه حسب السنة النبوية، ونطبّق

هذه السُنّة في كل صفحة من صفحات

حياتنا. يقول أنس بن مالك ؓ:

"الأدب في العمل علامة قبول

العمل".

فإذا ما نظر العبد إلى صلاته، وصومه،

وإنفاقه، وعمله من هذا المنطلق،

فسيستطيع أن يزن أعماله هذه ويعلم إن

كانت قليلة أم كثيرة، فيصلح نفسه.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا أدب "اليَد،

واللسان، والصلب".

• فأدب اليَد البعد عن السرقة.

• وأدب اللسان تجنب الغيبة والنميمة، والابتعاد عن

الكذب، والافتراء، والسباب والشتم؛ أي: (قول

الخير أو الصمت).

• وأما أدب الصلب فهو تجنب الوقوع في الزنا

والفواحش.

نسأل الله تعالى أن يحفظنا جميعاً من الوقوع في

هذه المعاصي، وأن يعيننا على أن نكون من عباده

المتأدبين المتعففين. آمين!

الأدب تاج

من نور الهدى

فضع ذاك التاج على رأسك

تأمن من سائر البلايا...

فما نفع المدرسة والكتاتيب إن لم

يكن لدى الإنسان أدب

فإنه وإن درس وصار عالماً فسيبقى

من غير الأدب حماراً

فالأدب الأدب...



التوبة النصوح

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام: ٥٤)

يقدم الإنسان على ارتكاب المعصية والخطيئة لجهله، ثم بعد ذلك يتوب ويتراجع عن زلته ويصلح حاله وعمله. فالله تعالى غفور رحيم بحقه، وفرض على نفسه العفو لأمثاله. وجاء في الحديث النبوي الشريف: "التائب من الذنب كمن لا ذنب له".

فالإنسان الذي يذنب بارتكاب معصية ثم يتوب توبة نصوح يعود طاهراً نقياً كأنه لم يذنب. يقول الحق ﷻ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧-٨)

فينبغي للإنسان التقرب إلى الله والعمل على تحصيل محبته بالدخول إلى دائرة طاعته ومحاولة البقاء فيها قدر المستطاع. فنجاته مرهونة بذلك. يقول الله ﷻ: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الفرقان: ٧٠)

فرينا ﷻ يشترط قبل كل شيء التوبة. فلا بد أولاً من التوبة كي يكون الإيمان والعمل الصالح كاملين ومقبولين. وقيل في تفسير هذه الآية الكريمة:

إذا ارتكب إنسان مئة سيئة ثم تاب بصدق وإخلاص، وعمل عملاً صالحاً فُيعطى عليه مئة حسنة. وروي أن أحدهم رأى نفسه في المنام في اليوم الآخر وهو يُحاسب على ذنوبه ومعاصيه، وأنه يعترف بصغائر ذنوبه، وينكر

الكبائر. ولما رأى بأن هذه الصغائر تنقلب إلى حسنات، سارع إلى الاعتراف بالكبائر وأخذ يطلب الحسنات مقابلها أيضاً.

إن السبيل الوحيد للتقرب إلى الله تعالى بالنسبة للسائرين على طريق الحق هو دموعهم، لأن: الدموع: تعبير عن حسرة الداخل، وتوسل العين وتضرعها.

الدموع: تحمل معنى الندم، ونوع من التوبة إلى الله. الدموع: لسان العاشق الذي يثير بها أحاسيسه ومشاعره ويعبر عنها بغير كلام ولا صدى.

الدموع: ترجمان قلوب العارفين.

الدموع: طلب الاسترحام الذي يتقدم به العباد إلى ربهم طالبين العفو والمغفرة.

الدموع: تجلب رحمة الله تعالى.

الدموع: لآلئ العبودية التي يقدمها المذنبون والعصاة إلى ربهم بصدق وإخلاص.

الدموع: رأسمال عظيم يدخره العبد عند الله؛ هي سيد الاستغفار والتوبة النصوح التي تحمل في داخلها قطرات الرحمة والشفقة والمغفرة.

الدموع: غفران الذنوب.

الدموع: قطرات إخلاص المخلصين.

الدموع: جبل نجاة العاصيين.

إن الاكتفاء بالدعاء والأقوال لا يقدم للعبد أي نفع، وإنما لا بد من العمل والعبادة لنيل الرحمة الإلهية. وبذلك يغفر الحق ﷻ لعباده ويعفو عنهم.

محمود سامي رمضان أوغلو، المصاحبة-٦؛ ص، ١٦٨-١٧٠.



الشكر على الروحانيات

اعلم أنك إذا صمت فإن الله ﷻ هو الذي وفَّقك إليه.
واعلم إذا وقفت في الصلاة أن الله تعالى هو الذي
مكَّنك من الوقوف على قدميك. وكذلك كل الأعمال
التي تقوم بها. فإذا عملت عملاً فلأنه أراد لك أن تعمله.

والخلاصة أنك سوف تصبح بحال ترى فيها أن كل
شيء منه... فعندما تبصر شيئاً ستعلم بأنه هو الذي جعلك
تبصر. وإذا دمت على هذه الحال وارتشفت الشراب
المعنوي ستعلم أيضاً بأن الأمر منه. تقول هو الذي
سقاني... ولا أحد غيره. وإذا تجنبت سوءاً، وحفظت
نفسك من شر واتقيته، لا بد أن تعلم بأنه هو من أكرمك.
وإذا ارتقيت درجات، وعلا مقامك... فاعلم بأنه هو
من رفع شأنك، وزاد من درجتك.
وإذا بلغت أحوالاً مادية أو روحانية سامية، اعلم بأنه
هو من أعانك على نيلها.

ليس لك من الأمر شيء... وليس عليك إلا الاعتراف
بأنك عاص لا أكثر ولا أقل... وليس لك ما تحسن به إلى
نفسك أبداً.

ومن أين لك الحسنة وهو الذي أحسن إليك؟ وهو
الحاكم فيك، إن شاء قبلك، وإن شاء ردك".

ويقول أيضاً: "يا بني! إذا قضيت سنوات عمرك كلها
بالصيام، ولياليك كلها بالصلاة والقيام... وامتلكت قلباً
نقياً طاهراً، وعملاً خالصاً لله... فإياك أن تدعيه وتنسبه
إلى نفسك... ولا تغرق العمل بالقول...

واعلم: بأنك مجرد عاص مفلس... ولا شيء غير
ذلك. إياك أن تغتر بنفسك... وتتخذ بأكاذيبها... فكم
من درويش ضلَّ وهلك لانجراره خلف هوى نفسه".

موسى طوباش، مجالس آلتن أولوك-١، ص، ١٨٤-١٨٧.

إن الله ﷻ يسوق بعض عباده إلى طريق السير والسلوك
الروحاني. وهؤلاء إذا ما سلّموا أنفسهم لمرشد حقيقي،
وساروا على طريق الإخلاص والاستقامة طالبين رضا
الله تعالى، وحرصوا على الحلال والحرام، فإنهم سوف
ينالون بإذن الله ﷻ ما يُرضيهم بقدر ما يبذلون من جهد
ويظهرون من ثبات. وعندما يقطعون أشواطاً في الدروس
المعنوية، تستوطن في أنفسهم محبة الله وخشيته. وفي
الوقت ذاته يرتقون في مختلف شُعَب الأخلاق الحميدة،
مثل: الأدب، والحياء، والتواضع، والعفو، والرحمة،
والسخاء، والكرم.

وأما إذا لم يتخلقوا بهذه الأخلاق، ولم يتصفوا بهذه
الصفات الجميلة، فلا يُعدون مستفيدين من هذه الدروس
على الوجه اللائق والمطلوب. وإذا انزلقوا إلى مزالق
العجب والغرور بظن أنهم أتموا السير والسلوك، أي
إذا عدّوا أنفسهم في مرتبة أعلى من الآخرين وأهملوا
واجبات العبودية، فإنهم يصبحون من الخاسرين.

إن واجب المؤمن الحقيقي ترديد عبارة "الحمد لله
على كل حال" في كل أحواله وتقلباته، وذلك سواء كان
في حال الضيق أم السعة، أو في حال المرض أم الصحة،
والإحساس بمعنى هذه العبارة بقلبه ومشاعره.

يقول إبراهيم الدسوقي رحمه الله: "يا أخي، احذر من
أن تدعي إذا عملت لنفسك أمراً خاصاً أنه بقدرتك. لأنه
سوف تدعي بعد ذلك أنك امتلكت حقاً بجهدك، بينما
الحال غير ذلك.

مراحل حياة الإنسان

يقوم الناس في هذا العصر بأبحاث كثيرة كي يعيشوا مدة أطول في هذه الدنيا، ويصرفون مبالغ طائلة على الأدوية ومواد التجميل في سبيل ذلك، مع أن العيش القليل أو الكثير لن يكون همَّ أحد وغمَّه في الآخرة التي هي العيش الحقيقي. بل الجميع يومئذ يريد أن يعلم هل جعل من هذه الدنيا التي ليست أمام الآخرة إلا عشيَّة أو ضحاها رأس مال لسعادته الأبدية أم أنه ضيَّعها فضيَّع آخرته...

وجعل تعالى المرحلة الثالثة من هذه المراحل مرحلة امتحان للإنسان، فربط بين أفعاله في هذا العالم وبين السعادة أو العذاب في دار الخلود.

يقول الله تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢)

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٥)

وكل شيء في امتحان الدنيا هذا له وجهان متضادان: الإيمان والكفر، والحق والباطل، والخير والشر، والجمال والقبح، والحلال والحرام. ويختار الإنسان بإرادته أحدهما، فيكون إما: مؤمناً أو كافرًا، صالحاً أو فاسقاً، عادلاً أو ظالماً، كريماً أو بخيلاً، وبذلك يحدّد في أي من هذين التيّارين سيكون.

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً، الحمد لله تعالى الذي أوجدنا من العدم، وخلقنا في (أحسن تقويم) وفضلنا على سائر الأمم، ووجَّهنا إلى طريق الهداية بالكتب والرُّسل ذوي العزم والهمم.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الثقلين، وإمام النبيين، والمبعوث رحمة للعالمين، وهادينا وناصحنا الأمين، وشفيعنا يوم الدين، وعلى آله وأصحابه الكرام الأطهار الطيبين.

٦٦ صفة الكلام

أن الذي يتجنب رؤية الحقائق الإلهية الموجودة في هذه الدنيا التي هي دار امتحان، لن يرى شيئاً من نعيم الآخرة أبداً.

- لقد وضع الله سبحانه وتعالى خمس مراحل لحياة الإنسان، أولها: عالم الأرواح. ✓
ثانيها: رحم الأم. ✓
ثالثها: الدنيا. ✓
رابعها: عالم البرزخ. ✓
خامسها: حياة الخلود في الجنة أو النار. ✓

فعلينا ألا ننسى البتة أن ما تكون عليه وجوهنا وأجسامنا لا يحدّه إلا قلوبنا وإيمانها وما وصلت إليه من درجات. فأصحاب القلوب التي تُنكّت نكتات سوداء في الدنيا فتغدو كسواد الفحم لكثرة ذنوبها سيحشرون في ذلة ومهانة وضِعة. أما أصحاب القلوب

ويمر هذان التياران من مضيق الموت إلى القيامة ليصبا في ميدان الحشر، ثم يسبلا إلى جهتين مختلفتين. إننا في الدنيا نحصر على جمال المظهر وصلاح الهندام وحسن القوام، لكن كيف ستكون صورتنا في الآخرة؟

فهذا ما ينبغي لنا أن نحصر عليه ونهتم له.

كيف ستكون هيئتنا يومئذ؟

هل ستسود وجوهنا ويعلوها الذلّة والخزي

ويبدو عليها الشقاء والعار؟

أم ستبيّض وتظهر عليها آثار السجود وتشعُّ

حسنًا وجمالًا وسرورًا؟

ونخبرنا ربنا سبحانه وتعالى بحقيقة انعكاس

سيرة المرء في دنياه على صورته في آخرته بقوله:

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ. ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ.

وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ. تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ. أُولَئِكَ هُمُ

الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ (عبس: ٣٨-٤٢)

كيف ستكون أجسامنا يومئذ؟

هل ستكون لنا أجسام بالية تشهد أعضاؤها

على أصحابها، وتظهر عليها سوء علامات الذنوب

الخفية والظاهرة التي اقترفت في الدنيا، وتحمّل من

الأثقال ما لا طاقة لها به، وتوصم بالعار لما ارتكبت

من ظلم وجور؟

أم ستكون لنا أجسام جميلة قوية طاهرة تشع

أعضاؤها التي كان يصيبها ماء الوضوء في الدنيا،

وينبعث نور الإيمان من أعينها، وتزيّنها أوسمة

الأعمال الصالحة؟

التي تطهرت من الذنوب بتزكية النفس وتزيت بصالح الأعمال فسيُحشرون بفضل الله وكرمه ووجوههم مبيضة ناضرة.

فلن يأمن أحد من أهوال يوم القيامة وغيابها وسوء المنقلب فيها إلا مَنْ كان من أهل الله في الدنيا، فالله تعالى يقول في كتابه الكريم:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾
(يونس: ٦٢)

لذلك يرى المؤمنون العارفون أن الغاية من الحياة الدنيا السعي لنيل رضا الله تعالى والتقرب إليه، وبلوغ درجة من الكمال والأدب تليق بالفوز بمشاهدة جمال وجهه الكريم جلّ جلاله في الجنة.

والعجيب أن الإنسان الذي يرى كيف تتبدل أحوال كل مخلوق فان في طاحونة الزمان يخدع نفسه في هذه الدنيا التي يُستضاف فيها لأيام، ويظن أن الموت بعيد عنه مع أنه يرى مشهد الجنائز دائماً، ويحسب أنه صاحب الأمانات الفانية التي قد يفقدها في أي وقت.

وما أجهل قول مولانا جلال الدين الرومي في هذا الشأن:

«أيها السالك، انظر إلى الصورة الأخيرة في المرأة! وفكر في قبح

الجميل عند هرمه، ومآل البناء إلى الخراب، ولا تغتر بالكذب في المرأة».

فالإنسان حينما يُجعل لروحه لباس الجسد ويدخل الدنيا من بابها، فهو من ساعتئذ سائر على درب الموت.

فمَنْ عرف الموت، لم ينخدع بلذاذات الدنيا الفانية. ومَنْ أدرك أنه سائر في رحلة الخلود، لم يقع

قلبه في هوى زينة الدنيا التي يُستضاف فيها لمدة قصيرة ولا في هوى زخرفها.

وما نفع أن يجمع المرء بين يديه نِعَم الدنيا الفانية كلها ويعيش في الدنيا ألف عام في سرور وحبور، إن كان مآله إلى حفرة ضيقة تحت التراب؟

والعجب العجيب أن الإنسان يعيش في هذه الدنيا راغباً في العيش فيها عمراً أطول، على أنه لا أحد يوم القيامة سيتحسر ويندم ويقول:

«يا ليتني عشت في الدنيا أكثر»،

بل ستكون حسرتهم على أنهم لم يأتوا الصالحات من الأعمال فيها، لأن الأصل في هذه المسألة: في أي شيء صرف الإنسان أنفاسه في الدنيا.

والقبر في الأساس نموذج عن المحشر وإن بدا كومة من تراب ظاهراً، فهو كما قال عنه رسول الله عليه الصلاة والسلام:

«إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه» (الترمذي، الزهد، ٢٣٠٨/٥)

فكما نرى في الحديث الشريف أولى منازل الآخرة، وسيكون وفقاً

لاتباع صاحبه أوامر الله سبحانه وتعالى في الدنيا، ولا شك أن حياة القبر من الأمور التي تقض المضاجع، لأن الإنسان غير مطلع على ما سيؤول إليه تحت التراب.

غير أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قد أخبرنا بتفصيل عن حياة القبر التي قال عنها:

«إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار». (الترمذي، القيامة، ٢٦)

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه:

«إن المؤمن في ستة أنواع من الخوف: أحدها من قبل الله تعالى أن يأخذ منه الإيمان، والثاني من قبل الحفظة أن يكتبوا عليه ما يفتضح به يوم القيام. والثالث من قبل الشيطان أن يبطل عمله، والرابع من قبل ملك الموت أن يأخذه في غفلة بغتة، والخامس من قبل الدنيا أن يغتر بها وتشغله عن الآخرة، والسادس من قبل الأهل والعيال أن يشتغل بهم فيشغلونه عن ذكر الله تعالى».

فمن أسماء بنت أبي بكر ؓ أنها قالت:

«قام رسول الله عليه الصلاة والسلام خطيباً فذكر فتنة القبر التي يفتتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة». (البخاري، الجنائز، ٨٧)

لا بد لكل إنسان محكوم بامتحان العبودية في مدرسة الدنيا هذه أن يصل إلى عالم البرزخ ويُسأل في القبر الذي سيوضع فيه بعد أن تنفذ أنفاسه المحدودة، حتى الذي لم يُوضع في القبر بل حُرِق أو غرق أو صار طعاماً للحيوانات في الصحراء.

عن البراء بن عازب ؓ، عن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

«إذا أُقْعِدَ المؤمن في قبره أي، ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ...﴾ [إبراهيم: ٢٧]». (البخاري، الجنائز، ٨٧/١٣٦٩؛ تفسير، ١٤/٢/٤٦٩٩)

وقد ذكرنا من قبل أن الحياة الدنيا المكان الوحيد الذي نستطيع فيه أن نعمل صالحاً كي نفوز في الآخرة، فالحياة حقيقة سامية لا تسعها المسافة بين المهذ والمهدد.

وإذا كان الجواب عن سؤال "ما الحياة؟" السؤال الذي قد يخطر على بال الإنسان، هو سواد التراب وحجارة القبر، فماذا يمكن أن يكون أشد ألماً من هذه الحياة؟ إن حياة كهذه ليست إلا لعباً في الطفولة، وشهوة في الشباب، وغفلة في الرشد، وحسرة وندامة في الشيخوخة.

أما المؤمنون العارفون الذين يرون الحياة من منظور الإيمان، فيعيشون أعمالهم بدقة ورقة مدركين الحياة الحقيقية بعد الموت. فلا بد من وجود إيمان حقيقي لدى الإنسان كي يستعد حق الاستعداد لرحلة الخلود، فكل إنسان سيري جزاء أعماله الصالحة منها والطلاحة يوم العرض الأكبر.

ولا شك أن الموت أصعب حقيقة سيلقاها كل إنسان، ولا يمكن لأحرف الكلمات أن تحمل ثقل الموت! وموت الناس حولنا دروس صامتة معبرة تعرض للقلوب الرقيقة عبراً وحِكماً وحقائق أبلغ تأثيراً وأشد وقعاً من أفصح العبارات. وما أعظم المعاني التي يدفنها الموت بلسان حاله في صمت مُطَبِّق، للذين يسمعون ويرون ويعون...

رأى الحسن البصري شيخاً في جنازة، فلما فرغ من الدفن، قال له الحسن: يا شيخ! أسألك بربك: أظن أن هذا الميت يود أن يُردَّ إلى الدنيا فيزيد عمله الصالح، ويستغفر الله من ذنوبه السالفة؟، فقال الشيخ: اللهم نعم! فقال الحسن: فما بالنا لا نكون كلنا كهذا الميت؟! ثم انصرف وهو يقول: أي موعظة؟ ما أبلغها لو كان بالقلوب حياة؟ ولكن لا حياة لمن تنادي. (ابن الجوزي، آداب الحسن البصري، تحقيق. سليمان الحرش، دار النوادر، ١٤٢٨، ص ٢٩)

يقول رسول الله ﷺ:

«إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة، ثم يُخْتَمَ له عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار، ثم يُخْتَمَ له عمله بعمل أهل الجنة».

(مسلم، القدر، ١١/٢٦٥١)

إلى الآخرة؟ ما العبر من كل هذه المواليد والوفيات؟ لماذا وُلدنا؟ وفي مُلكٍ مَنْ نعيش؟ وإلى أين المصير؟ ما عاقبتنا؟ هل نحن مستعدون للحساب يوم المحشر؟ ماذا أعدنا اليوم لآخرتنا؟

لكننا نجد أن هناك محاولات لغرس فكرة أن هذه الحياة "حياة بلا آخرة" في عقول الناس وقلوبهم في ظلّ نظام رأسمالي ومادي وليبرالي يعيشون تحت نيره هذه الأيام. فالإنسان اليوم كأنه في عصر الجاهلية بما تملّيه عليه برامج التلفاز السيئة وصفحات (الإنترنت)

المدسوسة، فنراه محصوراً بين مطرقة حاجاته وسندان مطامعه الدنيوية فلا يرى الحياة إلا في أهواء نفسه.

والحق أن كل عصر تُسسى فيه الآخرة عصرُ جاهلية، ولا تتغير هذه الحقيقة بتغير الأحوال ومضي الأوقات.

وإذا أمعنّا النظر في صفات المجتمعات الجاهلية التي أرسل إليها الأنبياء، نجد أن أغلبها كانت مبتلاة بغفلة "إنكار الآخرة"، وكذلك كان حال المجتمع الجاهلي الذي قصم الإسلام ظهره. وكان أكثر ما يقصّ مضاجع المشركين أن هذا الدين المبين كان يخبرهم أنهم بعد الموت سيُبعثون وعلى أعمالهم سيُحاسبون.

ويغرق الناس في المجتمع الجاهلي الحاضر في مستنقع الذنوب بظنّهم أن الدنيا بلا آخرة، وينجرّون من ظلم إلى آخر ويبيتون في ظلمات بعضها فوق بعض. ونرى الأقوياء يسحقون الضعفاء سحقاً، فيعرضون بذلك لوحةً للتوحش مخيفة، لأن الإنسان حينما ينأى عن الحقائق الإلهية، يتعد عن العدل والإنصاف والوجدان، وينسى إنسانيته.

ومثل العمر مثل بكرة لا يُعرَف متى ينقطع حبلها. وليس الأجل موعداً لا يُعطى إلا في الهرم. فكل حي يُؤلّد مُرشّح للموت، وكل إنسان في سنّ الموت. ولو ذهب أحدنا إلى مقبرة، لرأى كثيراً من الميتين أصغر منه سنّاً.

لذلك كان تأجيل الصلاة والحج إلى سن التقاعد، وترك التوبة والعمل الصالح إلى الغد المجهول سبباً لخسران كبير. فلسوف يأتي على العبد يوم لا غد له! وقد جعله الله تعالى مجهولاً حتى يُعدّ له العبد كل لحظة.

لذلك عدّ دين الإسلام ذكراً العبد الموت و"رحلة الخلود" والتفكر فيهما والاستعداد كل حين علامةً مُبينّة على رجاحة عقله.

إذ لما سُئِلَ رسول الله ﷺ: أي المؤمنين أكيس؟

قال عليه الصلاة والسلام:

«أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم لما بعده استعداداً، أولئك الأكياس».

(ابن ماجه، الزهد، ٣١/٤٢٥٩)

إن الموت الذي يأتي ببشرى الفوز في الآخرة لا يكون إلا من نصيب المؤمنين الذين وصفهم النبي عليه الصلاة والسلام بـ"الأكياس". فهو لاء

المؤمنون قد جمعوا دائماً لآلى الحقيقة في بحر أعمارهم، وقطفوا ثمار السعادة من بستان الفضيلة، وزرعوا بذور الحمد والشكر والرضا في حديقة الإيمان.

وكما قال رسول الله ﷺ:

«اللهم إن العيش عيش الآخرة». (البخاري، الجهاد،

٣٣/٢٨٣٤، الرقاق، ١/٦٤١٣؛ مسلم، الجهاد، ١٢٦/١٨٠٤)

فعلينا ألا ننسى أبداً أننا جئنا للدنيا من أجل الآخرة، وأن نسأل أنفسنا دائماً: إلى أين تصير هذه المخلوقات كلها على كثرة عددها؟ لم المجيء إلى هذه الدنيا ثم الرحيل



يقول سيدنا عمر ؓ:

«حاسبوا أنفسكم قبل أن تموتوا، وتزيّنوا للعرض الأكبر، وإنها يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا».

(الترمذي، القيامة، ٢٥/٢٤٥٩)

وكثير من الناس في هذه الأيام وقعوا في فخ الإلحاد، أو انبهروا بالفلسفات الباطلة، أو ضَعُفَ إيمانهم. وحينما يفقد الإيمان بالآخرة مكانه في القلب، يميل صاحبه إلى الباطل؛ فالقلب إن لم ينشغل بالحق شغله الباطل.

فعلينا أن نكثر من محاسبة أنفسنا، ونتساءل لنعرف إن كانت قلوبنا قد تشبعت بالإيمان بالآخرة، ونسعى لنصلح في أقرب وقت عيوبنا.

والحمد لله أننا مسلمون، نؤمن بأركان الإيمان بقلوبنا، ونقرُّ ذلك بألستنا. لكن كم نفُضِّل الآخرة على الدنيا إذا اختبرنا بمنافع دنيوية؟ كم

تستطيع قلوبنا أن تقاوم فيروس حب الدنيا الذي بات وباءً في هذه الأيام؟ كم نجعل حديث "إن العيش عيش الآخرة" أساساً في حياتنا؟ أي كم يتجسد الإيمان بالآخرة في معاشنا؟

ويدعونا الله تعالى كثيراً للتفكر في يوم القيامة، فهو يخبرنا عن القيامة في القرآن الكريم لا سيما في أجزائه الثلاثة الأخيرة. ماذا سيحل بالأرض، وكيف ستمسي السماوات، وإلى أي حال سيصير الناس؟ فعلينا أن نتفكر ونتدبر هذه الحقائق ونسعى لنصل إلى أعلى درجات التقوى.

فعلى المؤمن أن يحمل بين جنبيه قلباً يقلق ويضطرب بذكر يوم القيامة حتى يحافظ على إيمان ثابت وعقيدة راسخة، ويسعى ليعيش حياة عبودية سليمة بقلب يحيا بذكر الموت.

فالله تعالى يخبر أمة الإسلام في شخص النبي ﷺ بضرورة إصلاح أحوالهم بذكر القيامة والآخرة دائماً فيقول:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (الغاشية: ١)

ولا ريب أن حديث الغاشية أي خبر يوم القيامة قد أتاناً، لكن الله تعالى يحذّرنا وكأنه يقول لنا:

- كيف تحيون براحة وكأن خبر يوم القيامة لم يأتكم؟

- كيف تحرصون في الدنيا على أمور تافهة لا طائل فيها؟

- كيف تضيّعون أعماركم التي هي رأس مالكم الوحيد وأنتم غافلون؟

ثم يخبرنا سبحانه وتعالى في الآية التي تليها بما ستؤول إليه وجوه الغافلين الذين يلهون في الدنيا، فيقول:

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ (الغاشية: ٢)

أما المؤمنون الصالحون الذين لم يغتروا بهذه الدنيا الكاذبة وبذلوا حياتهم الفانية للفوز في الحياة الباقية فوصف لنا ربنا وجوههم بقوله:

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ (الغاشية: ٨)

فعلينا أن نتساءل:

في أي الفريقين ستكون يومئذ؟

إننا في الدنيا نحرص على جمال المظهر وصلاح الهندام وحسن القوام، لكن كيف ستكون صورتنا في الآخرة؟

فهذا ما ينبغي لنا أن نحرص عليه ونهتم له؟

كيف ستكون هيئتنا يومئذ؟

هل ستسود وجوهنا ويعلوها الذلّة والخزي ويبدو عليها الشقاء والعار؟

أم ستبيض وتظهر عليها آثار السجود وتشعُّ حسناً وجمالاً وسروراً؟

وعلىنا أن نذكر دائماً أن الموت الذي يعد آخر مشهد في الحياة هو كالمرآة الذي سيشاهد فيها كل إنسان

علمنا ربنا ﷻ دعاءً

بين به ضرورة التجاننا إليه:

{ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ } [آل عمران: ٨]

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول:

«يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»،

فقلت: يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت

به، فهل تخاف علينا؟ قال: «نعم، إن

القلوب بين أصبعين من أصابع الله

يقلبها كيف يشاء».

(الترمذي، القدر، ٧)

عاقبته. فلنحفظ مرآة أنفاسنا الأخيرة من آثار الذنوب والغفلة والمعصية حتى يغدو الموت جسراً لفوز عظيم لا لخسران مبین.

وعندما ينال الإنسان شهادةً دنيوية، فإن شهادته تلك تبقى مُعترَفةً طول حياته، لكن الأمر يختلف في الحياة المعنوية؛ إذ لا ضمان لبقاء الحال كما هو، وقد ذكر القرآن الكريم أخبار مَنْ زَلَّتْ أقدامهم عن الصراط المستقيم في أواخر حياتهم، مثل قارون وبلعام بن باعوراء.

فقارون كان عبداً صالحاً، وكان أفضل مَنْ يفسّر التوراة، ثم امتحنَ بالغنى، واغترَبَ بما أُوتِيَ من مال وبغى على سيدنا موسى وَمَنْ معه، فجرَّه غروره وافتخاره إلى الهلاك. (انظر: القصص، ٧٦-٨٢)

أما بلعام بن باعوراء الذي عاش أيضاً في عصر سيدنا موسى ﷺ فقد كان من المؤمنين الصالحين، لكنه مالَ إلى هوى نفسه، فسَاءَت عاقبته. قال الله تعالى:

﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ﴾ (الأعراف، ١٧٥)

ذكر المفسرون أن المقصود من هذه الآية بلعام بن باعوراء الذي كان من قوم موسى ﷺ. وكان بلعام من المؤمنين بسيدنا موسى ﷺ، لكنه كَفَرَ من أجل منافع دنيوية.

فلا أحد يضمن سلامة لحظاته الأخيرة في الدنيا إلا الأنبياء وَمَنْ أشاروا إلى حسن إيمانهم، فعلى المؤمن إذن:

✓ أن يكون يقظ القلب يحيا طوال عمره بين الخوف والرجاء.

✓ أن يسعى لفهم سِرِّ قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر: ٩٩)

✓ أن يحيا ساعياً لعيش الكتاب والسنة في كل نفس من أنفاس حياته، وألا يغيب عن قلبه ولسانه دعاء يوسف ﷺ: ﴿...تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف: ١٠١)

✓ ألا ينسى أن أعظم شهادة يمكن أن ينالها في دار الامتحان الفانية هذه هي شهادة الإيثار لحظة خروج أنفاسه الأخيرة.

وإذا أردنا أن نجمل صورة الموت، فالسبيل الوحيد لذلك إطاعة الأمر الإلهي:

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر: ٩٩)

إذن لنفكر بدرجة عبوديتنا لله سبحانه وتعالى:

✓ هل تحملنا الحياة التي نعيشها إلى الجنة؟

✓ هل تُبَيِّضُ أعمالنا وجوهنا أمام الميزان؟

✓ هل تيسر تضحياتنا عبورنا الصراط؟

✓ هل نسعى لنبلِّغ دين الله فيستطيع الواحد

منا أن يقول: «يا رب، قد فعلتُ ما استطعت...» إذا سُئِلَ عن أحوال الكثيرين مِمَّنْ سيحرقون دنياهم وآخرتهم بنار الكفر والفسق والفجور والعصيان؟

وكذلك علينا أن نسعى ليكون كل نفس من أنفاسنا وسيلةً لجعل لحظاتها الأخيرة في هذه الدنيا خيراً لنا، وألا نثق بصلاح أعمالنا ولا بكثرة عبادتنا، بل نلجأ إلى رحمة الله ومغفرته دائماً من أجل نجاتنا في الآخرة.

يوجه محمد إقبال الذي

يُعد بمثابة الباني الروحي

لباكستان، يوجه أسئلة للحجيج

العائدين من المدينة، فيقول:

"لقد زرتم المدينة المنورة؛ فبأي الهدايا ملأتم قلوبكم من سوق المدينة الأخروية؟ إن الهدايا المادية التي جلبتموها معكم مثل القبعات، والمسابع، والسجادات سوف يصيبها البلى والذبول بعد مدة من الزمن؛ فهل جلبتم معكم هدايا المدينة الروحية التي تحمي القلوب، ولا يصيبها البلى أبداً؟."

يقول الله تعالى:
...وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ

كَفَّارَ أَثِيمٍ ﴿البقرة: ٢٧٦﴾

فالأثام تسوق العبد إلى جهنم،
غير أنها قد تكون ظاهرة أو باطنة،
واضحة أو خفية.

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى في آية أخرى بترك
الآثام بنوعها فقال:

﴿وَدَرُّوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنُهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ
سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَفْرُقُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٠)

فهذا يعني أنه على الإنسان أن يتجنب المحرمات
الباطنة التي تفسد قلبه مثلما يتجنب المحرمات الظاهرة
كالخمر والزنا والسرقة والظلم.

والآثام الظاهرة في الأصل نتيجة الباطنة منها.
ويرتكب المرء الآثام الباطنة أكثر لأنه لا يتنبه إليها،
وكثيرًا ما يستخف بها ولا يحذر من الوقوع فيها، مع
أن تخلية القلب من الخصال القبيحة كالكبر والحسد
والبخل أمرٌ مهمٌّ أهمية الحذر من الآثام الظاهرة.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا نعيش نعمة الحياة على رضاه، ونقضي أعمارنا في روحانية الإيمان وفیوضات القرآن، ونموت على الإسلام، ونقف في حضرته وقد تنزلت علينا تجليات رحمته ومغفرته، ونشرف برؤية جماله في الجنان.

آمین!

الميزاب الذهبي - ٣٥

وإذا أردنا أن تكون لحظة أنفاسنا الأخيرة لحظة لقاء بالله تعالى وهو راض عنا، فعلينا أن نعيش حياتنا شوقاً لتلك اللحظة ونعمل بمتقضاها. وإذا أردنا أن تكون عاقبتنا الجنة ورؤية جمال الله تعالى، فينبغي أن تكون أعمالنا موافقة لهذه الغاية، ذلك أن عاقبتنا في الآخرة منوطة بأعمالنا وأحوالنا في الدنيا. والإنسان يُعَدُّ بيديه المصائب التي ستحل عليه، كما قال الله تعالى:

﴿...وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (آل

عمران: (۱۱۷)

فِعْذابِ جَهَنَّمَ لَيْسَ بِتَعْذِيبِ اللَّهِ عِبدِهِ، بَلْ بِظَلَمِ
نَفْسِهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَعْباَ بِتَحْذِيرِ اللَّهِ سَبْحانَهُ وَتَعَالَى حِينَ كانَ
فِي الدُّنْيا.

وإننا نخاف أحياناً من الكوارث كالزلازل والسيول، ونخاف من الإفلاس، وخوفنا هذا طبيعي لأننا بشر، إلا أن الذي ينبغي لنا أن نخاف منه ذنوبنا التي تبعدنا عن الله تعالى وتفسد قلوبنا.

فعلينا أن نخاف من ذنوبنا، علينا أن نخاف من الكلمات التي تخرج من أفواهنا، من أن نُحرّم من الرحمة والرأفة، وألا نمثّل الإسلام التمثيل الصحيح.

علینا أن نخاف من جميع الذنوب کبیرها وصغیرها
حتى نكون من العباد الذين «لا خوف علیهم ولا هم
یحزنون».

”طوبى لمن رجع إلى ربه قبل أن يأتيه الموت! وطوبى للعباد الصالحين الذين ارتحلوا إلى دار الخلود تاركين وراءهم سيرة حسنة وذكراً طيباً!“





حبيب المخلوقات

لا تخلو لحظة في هذه الدنيا وعلى مدار أربع وعشرين ساعة من صوت الأذان المحمدي الذي يُعد دعوة إلى الله، لذلك فإن ذكر اسمه المبارك سوف يتكرر مع اسم ربنا ﷺ في كل لحظة من لحظات حياتنا، وبيت فينا السلام والسكينة والسعادة والبركة.

لم يخلق ربنا من الكائنات ما يدانيه في الجمال، فحتى الزهور قد اقتبست منه طيبها وزهو ألوانها، لأنه محبوب معبودنا، لأنه رحمة للعالمين، لأنه سبب وجود الإنس والجن وسائر الكون. إن سيل الموت المتدفق سيجرف معه أسماء سائر سلاطين الدنيا، وملوكها، وأمرائها، ويزيل ذكرهم من الوجود، إلا أن اسم سيد الخلق سينتقل من لسان إلى لسان، ومن قلب إلى قلب حتى قيام الساعة.

لقد كان سيد العالمين قدوةً، وعاش حياة إنسان بسيط ذي شخصية سامية فياضة بالخير والعطاء، إذ مدَّ يد العون والمساعدة للفقراء والمحتاجين، والأرامل، واليتامى، ووضع جناح الرحمة والشفقة فوق الضعفاء والمحرومين، ولم يؤذِ حتى الذين أمتعوا في الإساءة إليه وأذاقوه شتى أنواع العذاب، ومختلف ألوان الأذى.

إن الزهور والورود التي تتفتح في كل فصل إنما هي الصلوات الشريفة التي تصلحها الفصول عليك.

لقد كانت حياته حياة الهداية الشاملة - بمبادئها ومقاييسها الدقيقة - لسائر العصور، والمتجاوزة لحدود الزمان والمكان بالخصال الجميلة والصفات الرفيعة التي تمتع بها من ولادته حتى يوم رحيله إلى الرفيق الأعلى، وكانت سيرته خريطة طريق،

الحمد لله رب العالمين صاحب القدرة اللامتناهية الذي خلق سائر الكائنات من عدم، وجعل خير المخلوقات أحبَّ الخلق إليه، والذي زين السماء بالشمس والقمر والنجوم، وأغدق علينا بنعمه الظاهرة والباطنة ما نعجز عن إحصائها وأداء شكرها.. والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد ﷺ..

مهما تحدث المتحدثون، ومهما كتب المؤلفون عن مرشد البشر من الأزل إلى الأبد، فإنه يبقى قليلاً... ومهما قيل وكتب وبجميع لغات العالم في مدحه والثناء عليه، وفي بيان فضائل أخلاقه، وحميد خصاله، فلن يوفى حقه، ولن يُحاط بفضله...

ومهما بالغنا بالثناء عليه فإننا لا نضيف شيئاً على سمو شأنه، وشرفه، وقدره، ومقامه؛ وإنما يكتسب كلامنا وأقلامنا شرفاً وقيمة بالحديث عنه، وذلك لأن الذي مدحه وأثنى عليه إنما هو الله بذاته العلية.

سوف يبقى ذكر اسم ذاك اليتيم المبارك الذي أطلَّ على العالم كموسم الربيع، فحوَّل الدنيا بجماله إلى حديقة من الزهور، مع اسم الله الجليل إلى يوم المحشر.

فكلما نطقنا بكلمة التوحيد: "لا إله إلا الله محمد رسول الله" رافضين بذلك جميع الآلهة والأهواء التي تصادفنا، نكون مصدِّقين ومُقرِّرين بوحدانية الله تعالى وبرسالة حبيبه. وحيثما أعلننا كلمة الشهادة:

"أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله"، نكون قد شهدنا بوجود الله ووحدانيته، وبأن سيدنا محمداً ﷺ عبد الله ورسوله.

وهاهو الشاعر نابي يدعونا إلى التأدب في حضرة
النبي ﷺ بقوله:

"إياكم وترك الأدب، فهذا مكان محبوب الله تعالى،
ومحل نظر الإله، ومقام المصطفى".

ويقول ولي الله يونس أمره:

"أهيم على وجهي باحثاً، لعلي أعثر له على أثر،
فأمرغ وجهي في غباره".

ويقول أصحاب العقول:

"إن العاشق الذي لا يحبك أكثر من نفسه وروحه
لا يكون إنساناً في عالم الحقيقة يا رسول الله".

فكل هذه المشاعر إنما هي باقة زهور متنوعة تصف
الجمال، وهي الحقيقة المتجلية في عالم القلب والروح.

يا رسول الله:

- صدّقنا وآمنا بأنك رسول الله.
- صدّقنا وآمنا بالكتاب الذي أنزل عليك من ربك وبلغته لنا.
- صدّقنا وآمنا بأنك خاتم الأنبياء والرسل.
- صدّقنا وآمنا بأنك صاحب أحسن الأخلاق.
- صدّقنا وآمنا بأنك لا تنطق عن الهوى وإنما هو وحي يوحى إليك من ربك.
- صدّقنا وآمنا بها صدقت وآمنت به.

اللهم إنا نقف على أعتابك بأياد فارغة ووجوه
مسودة، إذ لم نعبدك حق عبادتك، ولم نكن الأمة
التي تليق بحبيبك ونبيك، فاغفر لنا واعفُ عنا يا
أرحم الراحمين.

وعلامات سوف ترشد الناس على مر العصور،
وتوصلهم إلى بر الأمان والنجاة. لذلك فقد أشار ربنا
ﷻ في القرآن الكريم إلى هذا الجانب من حياته إذ قال:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ
رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ: ٢٨)

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ

عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (الصف: ٩)

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)

كلما صادف المرء في هذه الدنيا خلقاً حسناً أو
جری الحديث عن خُلُقٍ حسن، فإن أول ما يتبادر إلى
الذهن هو أحسن الخلق خلقاً سيدنا محمد عليه أفضل
الصلوات وأتم التسليم. وليست هناك كلمة أو عبارة
يمكن للإنسان بها وصف جماله وحسن أخلاقه.

يقول الشيخ مصطفى عاصم كوكسال:

"إن تحديد محاسن ذاك الجميل الذي خلقه الحق
سبحانه وتعالى ووصفه (بالحبيب) فوق طاقة البشر".



العالم والأسلوب

نشاهد بين الحين والآخر مناظرات تجري على القنوات الإعلامية بين العلماء في العلوم الدينية، ونسمع منهم بسبب الخلافات التي تحدث بينهم عبارات وكلمات لا تتناسب مع أدب الاختلاف ولا الحوار. وإننا مع الأسف نشاهد وبكثرة حدوث اختلافات وجدال حتى في المسائل الأساسية والقطعية لدرجة تصل إلى حد الفرقة والتناؤد أحياناً، وفجاجة اللفظ وعنف القول في الحوار، واستخدام الأساليب التي تحتوي على التكبر والتعالي، والتي لا تتناسب ألبتة مع سماحة الإسلام، ولطافته، ولينه. إن أصولنا العلمية مشهورة بالمناظرات التي تجري بين أهل العلم، ولهذه المناظرات والحوار مكانة مهمة للغاية. حيث كان ينظر إليها بالاحترام والإجلال وقد كان أهل الفضل ينظمون المناظرات العلمية بين العلماء، ويسعون إلى تنظيم مثل هذه البرامج واللقاءات بكثرة. واللافت للانتباه أن هذه اللقاءات والاجتماعات العلمية لم تكن تتحول إلى ساحة صراع ونزاع، ولا إلى فرصة لنيل أحد الأطراف من الآخر والإساءة إليه؛ بل على العكس، حيث كان يتم التعامل أو النظر إلى مثل هذه اللقاءات كما يتبين من اسمها على أنها "نوع من التسوق العلمي في إطار المناظرة".

كان يحدث اختلافات في مسائل متنوعة بين الصحابة أنفسهم. حيث ينقل ابن القيم الجوزي أنه حدث اختلاف بين عمر وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما بشأن ما يزيد عن مائة مسألة؛ إلا أن هذه الاختلافات لم تؤثر يوماً على محبتهم لبعضهما، والقرب القلبي بينهما.

وكذلك حدث خلاف بين ابن عباس رضي الله عنهما وبين زيد بن ثابت رضي الله عنه بشأن إحدى مسائل الميراث. إلا أن أي واحدٍ منهما لم يسئ في الكلام للطرف الآخر بسبب هذا الاختلاف، وحتى أن زيدا كان إذا التقى بابن عباس يقبل

تتمثل أساليب الدعوة بالطرق والفنون التي يتخذها الداعي لتوصيل الفكرة للمدعوين، وهي علم يجب تعلمه لمعرفة كيفية الدعوة وإزالة كافة العوائق التي تحول دون إنجاح الدعوة، ويجب أن تستمد هذه الوسائل من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وسيرة الصحابة الكرام، وبشرط أن يكون الأسلوب حكيماً وبالْحَسَنَى.

يده، ويقول: "هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا".
ولما توفي زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال ابن عباس رضي الله عنه:
"هكذا يذهب العلم!".

لقد أَرانا بتصرفه هذا وبصورة وجيزة ومختصرة
ومعبرة كيف أن الاختلاف في الرأي والفكر لا
يمكن أن يلحق الضرر بالمحبة والاحترام والمودة.
فالاختلاف لا يفسد للود قضية.

وإذا ما قلبنا صفحات تاريخنا الإسلامي نجد أن
علماءنا السابقين الراسخين في العلم قد أبدوا عناية
خاصة للالتزام بحسن الأسلوب واللين في
مناظراتهم وعلاقاتهم بين بعضهم البعض.
وذلك لأنهم جعلوا شعارهم أن العلم في
الوقت ذاته صفة من صفات الله تعالى.
وإذا ما صادفنا أحياناً مشاهد سلبية
في هذا التاريخ فإن ذلك لا يُعد
شيئاً إلى جانب النماذج والأمثلة
الجميلة والكثيرة التي تزخر بها
صفحاته.

وما يلفت الأنظار ويثير الإعجاب
أسلوب النقاش والبحث الذي
استخدمه مؤسس المذهب الأشعري
الإمام أبو الحسن الأشعري بحق
الأشخاص والفرق والجماعات السابقة،
وذلك في كتابه "مقالات الإسلاميين" الذي يتحدث فيه
عن تاريخ المذاهب. فهو يختار الإدلاء بالرأي الصواب
والقول الصحيح، بدلاً من النيل من أصحاب الرأي
المخالف وتحقيرهم والتشنيع عليهم، فيقول: "وليس
هذا سبيل الربانيين ولا سبيل الفطناء المميزين".

لأن من شأن الإساءة في الكلام، واستعمال أسلوب
الخصومة والنزاع في الحوار والنقاش أن ينتقص من
قيمة العلم، وأهل العلم، وفي الوقت نفسه يرخي
بغشاء على الحقيقة ويحول دون ظهورها.

وإن الإمام الذهبي عندما يتحدث في كتابه التراجم
"سير أعلام النبلاء" عن ابن حزم الذي لا يصوب آراءه
وأفكاره، يستخدم العبارات الآتية:

"الإمام الأوحَد، البحر، ذو الفنون والمعارف.
ورزق ذكاءً مفرطاً وذهناً سيالاً وكتباً نفيسة كثيرة.
إنه رأس في علوم الإسلام متبحر في النقل عديم
النظير على يُيس فيه وفراط ظاهرة في الفروع لا
الأصول".

ومن الأمثلة الأخرى على الاختلاف في المسائل
وأدب الخلاف ما حدث بين الليث بن سعد
والإمام مالك، ورسائله التي بعث بها إلى
الإمام مالك. حيث يبدأ الليث بن سعد
رسائله التي كتبها إلى الإمام مالك
وقد كان يختلف معه في المسائل
الفقهية، فيقول:

"سلام عليك، فإني أحمد الله
الذي لا إله إلا هو أما بعد:
عافانا الله وإياك، وأحسن لنا
العاقبة في الدنيا والآخرة، قد
بلغني كتابك تذكر فيه من صلاح
حالكم الذي يسرني، فأدام الله ذلك
لكم، وأتمه بالعون على شكره والزيادة
من إحسانه...". ثم ينهي رسالته بالقول:

"وقد تركت أشياء كثيرة من أشابه هذا، وأنا
أحب توفيق الله تعالى إياك، وطول بقائك، لما أرجو
للناس في ذلك من المنفعة، وما أخاف من الضيعة
إذا ذهب مثلك، مع استثناسي بمكانك وإن نأت
الدار، فهذه منزلتك عندي ورأيي فيك فاستيقنه،
ولا تترك الكتاب إليّ بخبرك وحالك وحال ولدك
وأهلك، وحاجة إن كانت لك، أو لأحد يتصل بك
فإني أسر بذلك، كتبت إليك ونحن معافون والحمد
لله، ونسأل الله تعالى أن يرزقنا شكر ما أولانا، وتمام
ما أنعم به علينا، والسلام عليكم ورحمة الله".

الاختلاف والخلاف:

الاختلاف والمخالفة أن ينهج
كل شخص طريقاً مغايراً للآخر
في حاله أو في قوله. والخلاف أعم
من "الضد" لأن كل ضدين مختلفان،
وليس كل مختلفين ضدين، ولما كان
الاختلاف بين الناس في القول قد
يفضي إلى التنازع استعير ذلك
للمنازعة والمجادلة.

ومن الأمثلة الجميلة الأخرى على دوام المحبة والمودة، ومشاعر الاحترام بين العلماء رغم وجود مسائل خلافية عالقة بينهم ما قاله المحدث الشهير وأمير المؤمنين في الحديث شعبة بن الحجاج بشأن الإمام أبي حنيفة النعمان عند وفاته:

"لقد ذهب معه فقه الكوفة تفضل الله عليه وعلينا برحمته".

ويروى أن محمد بن قاسم العثماني حضر ذات مرة مجلس الشيخ أبي الفضل الجوهري. وكان مما قاله للناس في المجلس: إن رسول الله ﷺ ظاهر، فتعجب من كلامه. ولما خرج من المجلس، وانفض عنه الناس انتهز الفرصة المناسبة فدخل عليه، وذكره بكلامه عن ظهار رسول الله ﷺ، وأخبره أن الظهار حرام، ولا يمكن أن يفعله النبي ﷺ. فما كان من الشيخ أبي الفضل إلا أن ضمه إلى نفسه، وقبل رأسه،

وأقره على قوله، وقال له: جزاك الله عني من معلم خيراً. ولما كان اليوم الثاني بكر العثماني إلى مجلسه، فألفاه قد سبقه إلى الجامع، وجلس على المنبر. فلما دخل الباب ورآه الشيخ من على المنبر نادى بأعلى صوته قائلاً:

"مرحباً بمعلمي، أنا معلمكم، وهذا معلمي".

وهناك الكثير والكثير من الأمثلة من هذا القبيل.

إن مناظرات العلماء ومناقشاتهم وحواراتهم شأن علمي، ولمصلحة العلم. إلا أنه ما ينبغي أن تتحول هذه المناظرات إلى احتقار الرأي المخالف والتشنيع عليه، والاستعلاء وإعجاب كل ذي رأي برأيه. وهذا الأمر بغاية الأهمية حتى وإن كان الرأي المقابل خاطئاً. حيث إن الله تعالى يبين أن مثل هذا الأسلوب والفكر الاستعلائي من خصال المشركين، وذلك بقوله في القرآن الكريم: ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (الروم: ٣٢)

وعلى ذلك؛ فهل مجال الدين المتروك للعلماء في الأصل هو الخطابات والأخلاق والسلوكيات السيئة مثل الحقد، والحسد، والبغض، والجهالة التي كانت سبباً لتحريف أهل الكتاب (اليهود والنصارى) لدينهم، أم هي نماذج وأمثلة التسامح والمودة، والرفق، واللين لعلماء المسلمين الذين نشؤوا وتربوا على مشرب النبي ﷺ؟

وعلى ذلك فإنه من الأهمية بمكان أن يتبع من يتولى مهمة تبليغ الدين الذي هو ميراث متروك من الأنبياء للعلماء، وتدریس علومه، والدفاع عنه، ومناقشة مسأله أسلوباً ينم عن المحبة، والمودة، والتواضع، والاحترام، وهذه المسألة لا تقل أهمية عن الرسوخ في العلوم الدينية، وتحصيلها بإتقان، والغوص في دقائقها.

لم يكن الإمام الشافعي -رحمه الله- يجزم بصواب رأيه مطلقاً، إنما كان يقول قولته المشهورة، التي أصبحت دستوراً للمتناظرين من الناحية النظرية، وإن كانت من الناحية العملية أبعد ما تكون عن الواقع، كان يقول: (قولي صواب يحتمل الخطأ، وقول غيري خطأ يحتمل الصواب).





من أي نافذة ننظر إلى الحياة والأحداث

شكر؟ صبر؟ عصيان؟

الأستاذة: أيسل جورجى

فتاة صغيرة يمكنها أن تجد جانبًا سعيدًا في أي حدث تمر به وتجدها تستمتع بالحياة.

أي أنها لطالما كانت ترى الجانب الممتلئ من نصف الكوب أي "أن أكون سعيدًا بالنظر إلى نصف الكوب الممتلئ لأن لدي نصف كوب من الماء، والتفكير بشكل إيجابي لذلك العطاء، بدلاً من اجترار الحزن في كون كأسى نصف فارغ".

في الواقع هذه هي الطريقة التي يجب أن ينظر بها المسلم إلى الحياة والأحداث. فنصف الكوب الممتلئ هو التعبير الأكثر دقة للأحداث الحزينة المؤلمة التي تمر في حياته، لأنه يعلم أن كل ابتلاء يصاب به هو امتحان له ولصبره. وهناك آيات عدة في القرآن تتحدث عن الصبر والصابرين، كما نرى في الآية السابقة من سورة إبراهيم، وقد جاء في تفسيرها {... وَذَكَرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ... } أي:

المؤمن صابر محتسب على المصائب، شاكراً في النعم. ويعود ذلك بالاعتماد على ما إذا كنا ندرك ما يدور حولنا من أحداث ونعلم إن كانت مصائب حقاً أم كانت نعماً، تجدنا ننظر إلى الحياة إما من نافذة الصبر أو من نافذة الامتنان. في الواقع هنالك الكثير مما بكينا عليه من الأحداث وأطللنا عليه من شباك الصبر، يستحق منا الفرخ به والنظر له من نافذة النعمة والبشر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (إبراهيم: ٥)

لا بد أننا جميعاً نذكر قصة بولونيا، التي قرأناها في صغرنا، تلك الفتاة الصغيرة المفعمة بالإيجابية، والتي لعبت لعبة دور السعادة من خلال نظرتها إلى الحياة والأحداث بشكل إيجابي.



الصبر على المصائب... شكرا على النعم.

لكننا نعيش الأحداث على أنها مصائب أو نعمة اعتمادا على ما ندركه.. أو من نافذة الصبر أو من نافذة الامتنان. نحن ننظر إلى الحياة. بصراحة في الواقع كنعمة من نافذة الامتنان... سعيد لرؤية العديد من الأحداث التي ستحدث من نافذة الصبر أننا نبدا متعبين، حتى عندما نمتدحزينا جدا.. من نحن... هل نحن على علم؟

بنعمه عليهم وإحسانه إليهم، وبأيامه في الأمم المكذبين، ووقائعهم بالكافرين، ليشكروا نعمه وليحذروا عقابه، وفي ذلك إشارة إلى الأيام الصعبة التي عاشها بنو إسرائيل في ظل اضطهاد فرعون وجبروته، ومن ثم تحولهم للازدهار والخلاص من بعده.

ولو نظرنا إلى الرسالة التي ترسلها لنا هذه الآية لواقعنا اليوم؛ نجد أن "أيام الله" هي إما أيام مضطربة متقلبة تتطلب منا الصبر، أو أيام خير، مبشرة تتطلب منا الشكر والامتنان.

يمنحنا التعرف على كل شخص صبور ومتمن دليلاً وتلميحا للسير في طريق الشكر والعرفان، أي أنه وبعد كل ما نمر به من صعاب وأحزان نصل لنكتشف أن الغاية منها ما هي إلا لاختبار صبرنا وبالتالي امتننا ومن ثم وصولنا للنعيم في آخرتنا، فما الحياة الدنيا إلا دار اختبار وامتحان لنا.

المؤمن صابر محتسب على المصائب، شاكر في النعم.

ويعود ذلك بالاعتماد على ما إذا كنا ندرك ما يدور حولنا من أحداث ونعلم إن كانت مصائب حقاً أم كانت نعمة مغلقة بامتحانات، نجدنا ننظر إلى الحياة إما من نافذة الصبر أو من نافذة الامتنان. في الواقع هناك الكثير مما بكينا

عليه من الأحداث وأطللنا عليه من نوافذ الصبر، يستحق منا الفرح به والنظر له من نافذة النعمة والبشر. دعني أوضح ذلك بمثال، حدثني إحدى الصديقات:

- أصبت بصدمة كبيرة عندما علمت أنني حامل بطفلي الخامس. ففي طفلي الرابع، مررت بأزمة وضغط كبيرين أثرا في ما عشته في حبي ومنزلي أرهقاني جدا. وجدتني ما بينهم، البعض منهم أشفق علي وقال: يا لها من مسكينة! هل يبحث الإنسان عن الشفقة ونعته بالمسكين!، بعضهم كان يخبرني عن العلاجات والأدوية وكأنني جاهلة لا أفقه، وآخرون ممن تجاوزوا الحد ووصل الأمر بهم لتوبيخي قائلين "هذا العدد من الأطفال في عصرنا هذا..."؟ وفي كل ذلك ومع كل تلك التراكمات قد جاءنا هذا الطفل الخامس الذي لم نرغب به. في البداية بكيت قليلاً، ثم بدأت في مواساة نفسي. أخذت نفساً عميقاً وقلت محاولة تهدئة نفسي، لا بد من أنه "امتحان".

في اليوم التالي بت مقتنعة أكثر، ورددت من داخلي، أجل هو "امتحان" لي. ولكن تلك الكلمة لم تستقر في داخلي بل جاءتني الكلمة كصفعة مدوية نزلت بي، حدثت نفسي قائلة: امتحان؟ أو تسمين نعمة الله ومنه عليك بطفل بالامتحان والابتلاء؟؟؟ أو سترضين الله بوصف النعمة بالابتلاء! فلتنظري لو وهبك الله طفلاً معاقاً مشلولاً، عندها ستعرفين معنى الامتحان الحق! عندها فقط استيقظت كنت كمن سقط من هوة سحيقة ثم استيقظ، حمدت الله كثيراً على نعمته أن رزقني طفلاً كاملاً صحيحاً معافاً.

ففي المثل السابق نجد أن الأم قد أطلت على واقعها من نافذة الصبر، ثم من الله عليها وكشف لها عن بصرها لتطل على الحقائق من نافذة الشكر والنعمة.

هناك خيار ثالث لأولئك الذين لا يستطيعون النظر للأمور في حياتهم من نافذة الصبر والشكر. وهي نافذة العصيان والتمرد، يهربون من خلاها للخارج،

نافذة العصيان جد واسعة، وتختلف من شخص لآخر كل حسب جرائته، وكل حسب إيمانه.

فالبعض منهم يتقاذفه الخوف حتى يقتله، والبعض ينمو بالجعجعة والهدير، وغيرهم الكثير الكثير..

في الواقع هناك أشياء كثيرة في حياتنا نراها عبثًا ونقمة على الرغم من أنها نعمة.

وإليك مثال آخر أطرحه عليكم: الأم المرضعة التي ترسل زوجها للعمل في الصباح الباكر، تنظف طفلها وتعتني به، وتجده يستيقظ باكراً قبل أن تقدر على إتمام عملها، ترضعه لينام، وتعتني به، وتهرع لتكمل الأعمال المنزلية من حولها، وفي اللحظة التي تظنه بها نائمًا وتحاول أن تقوم من جانبه تجده يستيقظ مجددًا لتجدها تبدأ في إرضاع طفلها الذي بدأ يبكي من جديد. ويتكرر الأمر مرارًا وتكرارًا، حتى لا تكاد تعي بأن الظهيرة قد حلت وطفلها لا يزال يرضع.

في هذه اللحظات تنتظر الأم هذه لواقعها من باب الصبر، ستتعاظم الأعمال التي عليها تأديتها من حولها وستجد نفسها مغمومة مهمومة يعتريها التوتر، أو أنها تمتن لهذه اللحظات وتقدر مرورها، ستحدث نفسها قائلة: غداً سيكون الصغير، ولن ترجع هذه اللحظات حتى وإن أردت لها الرجوع. وبذلك ستحس بلذة اللحظة وتشكر الباري على النعمة، ستأخذ بيدها لعبة تلاعب بها صغيرها بينما تهدده بعين الرضا والشكر. باختصار فالإنسان إما أن ينظر إلى الحدث من نافذة الصبر ويتعب ويقلق، أو ينظر إليه من نافذة الامتنان والشكر ويكون سعيدًا.

- أستطيع سماع الناس بعدما ما قرأوا ما سبق يقولون "المنزل تملأ الفوضى أركانه، قد حلت الظهيرة وبعد قليل سيأتي زوجي ويصبح صارخًا طالبًا العشاء،

سيلومني قائلًا أو ليس بإمكانك حتى طهي وعاء من الطعام".

وأنت هنالك ترمي عليّ بالحكم وتخبرني أن آخذ لعبةً وألعب مع طفلي..

- أنتم على حق، ولكن دعني أسألكم هل ستتغير النتيجة إذا شعرتم بالتوتر والقلق؟

هل سينام الطفل إذا ما أكلك القلق؟ أم سيهدأ زوجك عندما براك قلقة؟ هل سيرتب المنزل نفسه بذلك؟ قلقك وتوترتك، حملك لطفلك، ضمه وشمه وتقيله، سماع ضحكاته ومشاركته إياها، أو الصراخ والعصيان والهرب، كلها طرق بإمكانك اتباعها فاختر أيها الإنسان ما تريد.

بينما يمكننا أن ننظر إلى الحياة بإيجابية ونكون سعداء، فإننا نسسم أنفسنا بالقلق ونعيش في توتر دائم.

دعونا نسلط الضوء على حال بعض سيدات مجتمعتنا في الصباحات اليومية الباكرا: تبدأ الصورة بربة المنزل التي تحاول ترتيب منزلها في الصباح الباكر، تقوم بأعمالها كما يجب، لتجد الأطفال من حولها يعيشون الفوضى في المنزل، فتصرخ عليهم قائلة: "لا بد أن والدكم قد استأجر لكم خادمةً تخدمكم في هذا المنزل...!!" وتجدها غاضبةً من أطفالها، غاضبةً على زوجها الذي لا يساعدها في الأعمال المنزلية.

مثل هذه الشكاوى هي روتين الصباح الكلاسيكي للعديد من ربات البيوت. لنلق نظرة على الحادثة من منظور الامتنان والشكر.



أولئك الذين لا يستطيعون النظر للأمور في حياتهم من نافذة الصبر والشكر. وهي نافذة العصيان والتمرد، يهربون من خلالها للخارج، نافذة العصيان جد واسعة، وتختلف من شخص لآخر كل حسب جرائته، وكل حسب إيمانه.

عش ما دام الله أعطاك عمرًا تحياه. كلنا ميّت يومًا ما،
كلنا سيترك هذا العالم عندما ينتهي عمره الممنوح.

بالطبع فالإنسان يحس بالقهر والحزن على فارق
أحبته، ولكن بما يجدي الحزن؟ سمعت أحدهم يدعو
مرة قائلًا: "أسأل الله أن لا يفرق بيننا في الآخرة" يالها
من دعاء جميل ويا لها من مواساة تثلج الصدر.

أليست هذه طريقة للنظر إلى الأحداث من منظور
الامتنان؟ الآن أود أن أعطي المثال الأخير للخالة،
التي تنظر إلى حياتها من نافذة الصبر ولا
يمكنها أن

تصبر بامتنان: قد عاشت وحدها
في منزلها، الذي فتحت فيه غرفه
على الشرفة المسماة الحياة،
تعرضت لكسر في أطرافها
وبسبب عدم التحام العظم
بشكل جيد فقد غدت مقعدة
مشلولة، كان بإمكانها الزحف
إلى الحمام في الطرف الآخر من الفناء،
جالسة على مرتبة صغيرة كانت قد غطتها
بالبلستيك.

كانت قد حجزت إحدى الغرف لنفسها
وأجرت الغرف الأخرى لزوجين فقراء مقابل رسوم
رمزية. كان هذا كل دخلها.

لم تشتك أبدًا من أبنائها، الذين كان كل منهم في
مملكته الخاصة.

قمنا بزيارته في عطلة رمضان، أبي؛ سألها: "كيف
حالك يا خالة؟" "الحمد لله!" واتبعت قائلة: صمت
رمضان وصليت التراويح وقرأت قرآني. ما الذي قد
أطلبه أكثر من الله؟ وختمت كلامها بالشكر...

أعتقد أنني لن أبالغ إذا وصفت حالتها بتعريف
لذة الشكر والامتنان، ففي حين كون عدد ما يمكن
أن تتذمر منه لا يعد لكثرة إلا أنها راضية شاكرة ممتنة.

بادئ ذي بدء هي لديها الصحة والقوة على تنظيف
المنزل، بل هي لديها منزل تعيش فيه، ولديه أطفال
يعيشون في هذا المنزل، لديها زوج يؤوي إلى منزلها في
المساء ويغدو إلى عمله في الصباح. بالطبع مع كل هذه
النعم لا بد من وجود عيبٍ لتحملها.

امرأة أخرى تعيش بمفردها في المنزل متوفٍ وأطفالها
قد تزوجوا وتركوها، ولكن لا يمكنها البقاء
بمفردها في المنزل، وعادة ما تبقى في منزل
أطفالها في الليل، وتظل تبكي طوال الوقت.

سيدة أخرى في نفس الموقف:

- أولديك بيت. أولديك راتب؟

- نعم لدي. - فإذا على ماذا

تبكين يا عزيزتي؟ أنا مثلك تمامًا،
بل لأكون صريحةً معك أكثر، أنا
سعيدة جدًا.

إذا أردت أنام ليلاً، وإذا

أردت قمت لقيام الليل وأديت

صلاتي، استيقظ وقتما أشاء،

وأتناول إفطاري متى أشاء، أسأل الله أنا

لا يقعدني فما زلت بقوتي وأقدر على أن أقوم بنفسي

لذا لا أريد أن أذهب وأبقى عند أطفالي، لطالما قال لي

ولدي: "أماه، لو بقيت معنا على الأقل في الشتاء".

لا سمح الله فأنا أفضل أن أعيش بحرية في منزلي على

أن أصاب بالحصبة في سريري وأنا أنتظر حتى تستيقظ

أسرقي في الصباح.

الحادثة هي نفسها، كما يمكننا أن نرى من المحادثة

بين هاتين السيدتين ولكن لكل منهما وجهة نظرها

المختلفة عن الأخرى فبينما تنظر إحدهما من نافذة

الصبر وتبكي، تطل الأخرى من نافذة الامتنان

وتستمتع بكونها حرةً.

يقولون: "لا يمكن أن يموت المرء مع الميت". أجل!

يحزن على الموتى ولكن إلى متى سيواصل البكاء؟



السلطة الدينية في الدولة العثمانية

وعلى هذا كانت مكانة شيخ الإسلام الذي هو وكيل للسلطان بصفة الخليفة؛ متقدمة على الصدر الأعظم الذي هو وكيل للسلطان بصفة السلطان. وكان هذا التطبيق أساساً إدارياً تم الحفاظ عليه حتى انهيار الدولة.

كما أن مشايخ الإسلام كانوا مثل السلاطين يظلون في منصبهم حال حياتهم، ويمكن القول بأنه لا يكاد يوجد شيخ إسلام واحد عُزل من منصبه بسبب إصداره فتوى لا تتفق مع السياسة. ولم يُعزل مشايخ الإسلام من مناصبهم قط إلا في حالات العجز الصحي أو الهرم الكبير.

ولأن مشايخ الإسلام كانوا بشراً فإنهم كانوا في بعض الأحيان يخطئون في تقدير إحدى المسائل، أو يمكن أن يقعوا تحت تأثير مؤامرة سياسية ما، وفي العهود الأخيرة للدولة العثمانية وجدنا السلطة السياسية تضغط على هذا المقام وتضطره إلى إصدار فتوى مخالفة، وهذا كان نادر الحدوث، وقد استصدرت فتوى ممن ليست لديهم صلاحية الفتوى عند عزل السلطان عبد الحميد، وكانت هذه ظروفًا استثنائية، ولم يكن هذا خطأ النظام القانوني، وإنما كان خطأ السلطة السياسية.

أي إن مشايخ الإسلام في الدولة العثمانية كانوا على رأس نظام يحافظ على سلطة الحقوق التي توجه إرادة السلطان وتراقبها عند الحاجة. ولهذا رأينا في التاريخ العثماني الكثير من مشايخ الإسلام، الذين ظلوا في مناصبهم بالرغم من أنهم لم يصدروا الفتاوى التي يرغب فيها الحكام الأقوياء.

كانت الدولة العالمية العثمانية دولة حقوق بالمعنى الكامل للكلمة بشكل يتفق مع الفكر الإسلامي الأساسي. أي إنها كانت دولة يغلب عليها الحقوق وليس القوانين. وثمة عنصران أساسيان لتأمين هذه النتيجة:

١. إن القوانين في الدولة العثمانية لم تكن نتاج إرادة الأشخاص الذين يطبقون هذا القانون.

وبالرغم من وجود العديد من الفعاليات مثل الاجتهاد والقياس، لم يكن رجال الحقوق أحراراً، بل كانوا مرتبطين بمنطق وهدف القانون الإلهي. وهذا يعني أن كل رجال الحقوق الذين يطبقونه وعلى رأسهم رئيس الدولة، لم يكونوا أصحاب إمكانية لإصدار القوانين لصالح أحد أو ضده أو لصالح جماعة أو ضدها. كما أنهم كانوا مكلفين امتثال تلك القواعد الحقوقية التي كانت مُنصَّفة لأقصى درجة والتي لا تفضل شخصاً على آخر. كما أن الخاصية التي كانت تعمل على تأمين مشروعية تصرفاتهم هو ذلك التناسب الموجود بين القوانين الإلهية وهذه الإرادة السياسية. والمشروعية تكون بنسبة هذا التناسب.

٢. إن موافقة القوانين التي أُصدرت للمصلحة وموافقة تطبيقات السلطة السياسية مع الأسس الحقوقية الرئيسية أي مع الكتاب والسنة؛ كانت تتم بالفتوى.

وليست الفتوى مبنية على قناعة شخصية، بل من الضروري أن تستند إلى سند شرعي. ولهذا فإن مقام الإفتاء في الدولة العثمانية كان سلطة دينية تستطيع توجيه السلطة السياسية.

جواهر

العبادات الخفية

إن القرآن الكريم عندما يلتقي مع الحديث والسنة ويتوحد معها يظهر أعظم نور للهداية والإرشاد. وهذا يعني ضرورة استناد كافة تصرفات المؤمنين، وسلوكهم، وأفعالهم، وطاعاتهم، وأقوالهم إلى القرآن والسنة. وهذه الحال هي ثمرة وبركة سير الطريقة المحمدية بجمالها وكمالها الإلهي على الصراط المستقيم. فمع مجيء خاتم الأنبياء محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم انتصر الدين الحق، وتميز الحق عن الباطل، وتأسس طريق الصراط المستقيم. وهذا كنز لأمة محمد، ودعوة من الله تعالى إلى الجهاد والكفاح على طريق الحق.

إن الصراط المستقيم هو طريق يتمنى المسلم لو أنه يصبح غباره، وخادمه وفداه. هذا الطريق هو غبار قدم النبي المبعوث رحمة للعالمين كافة والطريق الذي ينبغي أن يتبع.

هذا الطريق فوق الإنسان.

هذا الطريق طريق الإنسانية لأجل البشرية.

هذا الطريق طريق الجهاد.

هذا الطريق طريق الهجرة.

هذا الطريق طريق سعادة التضحية بالنفس.

هذا الطريق طريق تضرعنا إلى خالقنا قائلين: "إياك نعبد وإياك نستعين".

هذا الطريق طريق الذكر، والدعاء، والعبادة.

هذا الطريق طريق الخضوع، طريق التسليم، طريق العشق والنور الأبدي،

طريق التضرع والابتهال.

هذا الطريق طريق الجمال والكمال، طريق اللانهاية، طريق الديمومة. هذا الطريق طريق الرفاه الأبدى، طريق الكرم والمروءة، طريق الإحسان والطف والفضيلة. هذا الطريق طريق تصفية وتنقية القلب والروح. هذا الطريق طريق التضحية.

إنه طريق الرسول الأكرم الأمي الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة. إنه الصراط المستقيم. والصراط المستقيم يمثل الأخلاق المحمدية.

هذا الطريق طريق النور؛ نور صفات الله تعالى وأسمائه اللامتناهية، نور الإيمان. إنه نور

الصراط المستقيم الذي هو طريق تحصيل الشرف والعزة. وهذا النور متاح لكل فرد يسلك ويجاهد على طريق الحقيقة. نور يتسلل من عالم الفناء والمحو والتخلي عن الذات؛ إنه نور الهداية الإلهية. يقول الحق تعالى:

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (المائدة: ١٥)

إن هذا الطريق دعوة إلهية للمعراج، للأنس، للاقتراب من الجنة. هذا الطريق جوهر العبادات الخفي. هذا

الطريق لا نهاية له. فلا نهاية للمحبة والجمال، ولا لرحمة ورأفة وشفقة ربنا سبحانه وتعالى. ولا يُعد أي شيء ينقل أو يقدم لنا في رحلتنا المعنوية درساً تاريخياً جافاً أو معلومة مجردة، وإنما المشهد الذي تشكله المعلومات حي بكليته. إذ يمكننا أن نتبع أثر تقليد التنوير الروحي ذاك والذي يستمر على شكل سلسلة مترابطة الحلقات.

إن ولادة ابن آدم في هذه الدنيا هي دعوة له إلى الصراط المستقيم. ويولد جميع الناس أول ما يولدون مسلمين ومن أمة محمد عليه الصلاة والسلام. وإن

الناس في العالم الغربي محرومون من هوية العقيدة الحقّة، لذا فإنهم يولدون وهم لا يعلمون شيئاً عن طريق سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. وكذلك فإن كثيراً من الناس ممن يولدون كمسلمين لا يكتسبون بكسوة الإسلام، وبذلك فإنهم لا يستطيعون إدراك الصراط المستقيم. وإن عدم الوعي بالصراط المستقيم ليس سوى انحراف عن طريق الصواب والحق نحو الضلال. وبذلك فإنهم يتيهون في ظلمات اللاوعي. فيجب أن يستيقظ الناس وخاصّةً المسلمون من نوم الغفلة ويتجهوا إلى الوعي السامي بالصراط المستقيم.

وإن هذا الوعي هو إدراك الأخلاق المحمدية. وفي هذا السياق يتحدث مولانا جلال الدين الرومي في بعض أبياته التي وهو يحدثنا عن مفهوم التضرع والتوسل إلى الله تعالى، الذي يقوم به أهل النار حيث لا تكون الغاية منه طلب الوقاية من نار جهنم ودخول الجنة، وإنما لأجل الإعادة إلى الدنيا للتلذذ بالمعرفة والعبادة، حيث يقول:

"إن سعادة أهل النار وهم في جهنم أكبر من سعادتهم عندما كانوا في الدنيا، لأنهم في النار يعرفون الله سبحانه وتعالى بينما لم يكونوا يمتلكون هذا الوعي وهم في الدنيا. فليس من شيء أعذب وأحلى من إدراك الله تعالى. وأما طلب العودة إلى الدنيا فمن أجل إدراك الأشياء التي هي تجليات لجمال الله تعالى وألطافه".

وبهذه الحكمة العظيمة يبين الله تعالى للإنسانية كيف أن كل شيء يتغير عندما يدخل الإدراك الإلهي إلى قلب الإنسان.



إن سعادة أهل النار وهم

في جهنم أكبر من سعادتهم عندما كانوا في الدنيا، لأنهم في النار يعرفون الله تعالى بينما لم يكونوا يمتلكون هذا الوعي وهم في الدنيا. فليس من شيء أعذب وأحلى من إدراك الله تعالى. وأما طلب العودة إلى الدنيا فمن أجل إدراك الأشياء التي هي تجليات لجمال

الله سبحانه وتعالى



إن الله تعالى يدعونا إلى الجهاد والكفاح على طريق الحق في كل زمان ومكان. ويدعونا الله تعالى إلى مشاهدة الجمال الأبدي لكنوز الخلق. يدعونا إلى الإعجاب، إلى العشق، إلى الإلهام الإلهي. وإن دعوته، ونداءه، وتحذيره يمثل الاستيقاظ من الغفلة على نور الوعي الإلهي، أي الهداية الحقيقية. فيجب علينا جميعاً الاستيقاظ من نوم الغفلة، وبذل غاية الجهد للدخول في المعراج الحقيقي. علينا أن نجدد إيماننا، وننفض عنه الغبار. علينا أن نعيد إحياء محبته الكامنة في قلوبنا. وباختصار؛ علينا أن نتخلص من كل محبة لا تكون في الله. فأعراض العمى المعنوي، والغفلة، والجهالة لا تظهر إلا لدى المحرومين من

المحبة الإلهية؛ لأنَّ الإنسان المتيقظ معنوياً، والواعي وصاحب الإدراك الحي يُحصِّل هذه الأحوال بنسبة اكتشافه لخزائن العشق الموجودة في ذاته. ولهذا فإنَّ عيش الإنسان حياة الغفلة الدنيوية لا يعني نقص علومه ومعرفته؛ وإنما يعني نقص عاطفته، وأحاسيسه الإلهية، ونقص شعوره بالحاجة إلى الأمور الإلهية.

يرى مولانا جلال الدين أن هذه الدنيا إنكارٌ ورفض للحقيقة الإلهية، فيقول:

"اعلم أن سبب إقبالنا على الدنيا بهذا القدر إنما هو غفلتنا عن الحضرة الإلهية؛ وليس سببه المال، ولا النساء، ولا الثياب!".

فعندما يتيه الإنسان ويضيع في هذه الدنيا وفي جاذبيتها فإنه يبتعد عن الله تعالى، ويصبح عبداً لأهوائه وشهواته، ولعبة بين يدي الشيطان. ولهذا فإن مولانا جلال الدين يدعو الناس إلى الخروج من زنانة الوجود.

وقيل: ما الدنيا؟ قيل: كل ما دفعك إلى الغفلة، وأنساك ربك".

إن حب هذه الدنيا يعبر عن الأنانية، والكبر، والشرك، والجهالة والضلالة. إن حب هذه الدنيا يعني: انتفاء العشق تجاه رب العالمين، وانتفاء الدين، وانتفاء الصيام، وانتفاء الدعاء، وانتفاء الحج، وانتفاء المعراج، وانتفاء الإحرام، وانتفاء الجهاد، وانتفاء الصراط المستقيم، وانتفاء السجود.

إن حب الدنيا انتفاء لسنة النبي عليه الصلاة والسلام، ونقصان في الجمال، والعشق، والنور. وبعبارة أخرى؛ إن الإنسان الذي يعيش بدون وعي وإدراك قد نسي وجهته الأصلية، وضل عن الطريق المستقيم، وانحرف عن الحقيقة نحو الباطل، وباختصار أضاع نفسه.

ألا نكون على الصراط المستقيم إذا ما أدركنا أن حياتنا ما هي إلا رحلة معنوية؟ ألا نكون على الصراط المستقيم، إذا ما ضحينا بأنفسنا في سبيل الله في سوق الآخرة؟

ألا نكون على الصراط المستقيم إذا ما تخلصنا من الشرك؟

ألا نكون على الصراط المستقيم إذا ما خدمننا دين التوحيد؟ ألا نكون على الصراط المستقيم إذا ما حملنا الأمانات المقدسة، وجعلنا حياتنا

إن الحقيقة لا تُعطى بلا ثمن! فيجب على المؤمنين السعي الحثيث خلف الحقيقة في كل زمان ومكان. يجب أن نترك كل شيء في هذه الدنيا ونهرب منها ونفر. حيث جاء في القرآن الكريم: ﴿فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾

تمهيداً للآخرة؟

إن الله تعالى سوف يحيينا حياةً حقيقية، ويجعلنا مؤمنين حقيقيين بقدر سيرنا خلف الحقيقة على الصراط المستقيم، وبقدر توجهنا إلى الوطن الأصلي، وبقدر ارتدائنا لباس الإحرام، وبقدر سجودنا على الصراط المستقيم، وبقدر دخولنا في المحبة الإلهية، وبقدر تذللنا وتضرعنا، وتعبدنا، وخضوعنا أمام الله تعالى. وإننا نصبح بشراً، وخلفاء، وعباداً ومؤمنين حقيقيين بقدر المشقة والمصاعب التي نتحملها في سيرنا على الصراط المستقيم، وبقدر كفاحنا وجهادنا، وبقدر تعرضنا للابتلاء والامتحان.

إن الحقيقة لا تُعطى بلا ثمن! فيجب على المؤمنين السعي الحثيث خلف الحقيقة في كل زمان ومكان. يجب أن نترك كل شيء في هذه الدنيا ونهرب منها ونفر.

حيث جاء في القرآن الكريم:

﴿فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (الذاريات: ٥٠)

يجب على المؤمنين بعقيدة التوحيد أن يقتفوا آثار الأنبياء والمرسلين من لدن سيدنا إبراهيم عليه السلام حتى خاتم الأنبياء سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وأن يضعوا خطواتهم موضع خطوات رسول الله عليه الصلاة والسلام. ويجب في الوقت ذاته أن يعلم المؤمنون أنهم باحثون إبراهيميون، وأن لا يغيب عن وعيهم وإدراكهم وأذهانهم كطلاب محمديين حقيقة أن الناس جميعاً إنما هم أبناء آدم عليه السلام. فالمحمديون يحملون على أكتافهم ميراث كل الأنبياء والرسل، والذي هو ميراث العبودية. وهم خلفاء الله في الأرض. فعلينا أن ننهض بهذا الدور. علينا أن نمسك بالأيدي التي تمتد حتى نبينا عليه الصلاة والسلام، حيث قيل: "يداً بيد إلى الحق".

إذا كنا نؤمن بالتوحيد فإننا مدينون لله تعالى بدين الجهاد في سبيل الحق. مدينون بدين السير على خطى الذين استشهدوا في سبيل الحق. مدينون لبلال الحبشي الذي لم يتنازل، ولم يتوقف عن قول "أحد أحد" وهو تحت يرح تحت التعذيب أياماً وليالٍ طويلة. مدينون بدين عدم الخوف من الموت في سبيل الله، وبالقيام بواجبات العبودية، والسير على طريق الحقيقة. مدينون بدين التحلي بخصال التقوى والصدق والإخلاص. مدينون بدين إعلان الصداقة والصحبة لهاييل لأجل الدم الذي سال منه، والعشق الذي قدمه لنا. إن شهداء الإسلام الذين أضأوا ما حولهم بنورهم يخرجوننا من ظلمات الغفلة. وقد ضحوا بأنفسهم من أجل أن نبصر نحن، من أجل أن نستيقظ، من أجل أن ندرك ونفهم، ومن أجل أن نرى نور الهداية من القرآن الكريم. فلنضع أنفسنا مكانهم، ولنقاتل حيثما قاتلوا، ولندعو حيثما دعوا، ولنسر من حيث ساروا، ولنبكي كما بكوا، ولنتضرع ولنتجئ إلى الله رب العالمين كما تضرعوا.

العفو

فقبل كل شيء علينا التخلي عن معاملتنا الخاطئة كي لا نضطر إلى طلب العفو من الآخرين. ولتحقيق ذلك ينبغي لنا تجنب الأفعال العشوائية والخارجة عن السيطرة والتحكم. ينبغي الامتناع عن الاتيان بأي حركة قبل معرفة النتائج المحتملة للمعاملات والأعمال التي سوف نُقدِّم عليها. وإذا ما صدرت منا سلوك خاطئ بقصد أو بغير قصد، فينبغي أن نعلم أنه لا بد من الاعتذار إلى الذين أسأنا إليهم. وإذا كان قد ترتبت لهم حقوق في ذمتنا فعلياً إعادة إليهم، فإن لم تكن لدينا القدرة على إعادتها أو كانت الإعادة محالة، فينبغي أن نطلب منهم مسامحتنا عنها. وعلينا تقديم الشكر لمن سامحنا، وطلب مهلة ممن امتنعوا عن مسامحتنا حتى نستطيع أن نعيد حقوقهم إليهم. ونحاول جاهدين إعادة حقوقهم بأقرب فرصة ممكنة، وكسب ودهم. وينبغي لنا البحث عن أصبنا شيئاً من حقوقهم لإعادتها إليهم، فإذا لم نجدهم، وفقدنا الأمل من العثور عليهم مع جدية البحث والتفتيش، فعلياً حينها التصديق باسمهم.

من الأفضل لتنمية شعور العفو لدينا النظر إلى الإنسان بإيجابية من خلال التفكير بالمراتب التي على الإنسان تحصيلها للوصول إلى مرضاة الله تعالى، وإدراك احتمال أن يجحد عن جادة الصواب أو أن يرتكب الأخطاء، أو أن يفقد أحياناً لصفات الكمال التي يتمتع بها، وذلك بدلاً من النظر إليه بوصفه مجرماً ومذنباً دائماً العصيان.

ولكي نطلب العفو لا بد أولاً من الاعتراف بالذنب والإقرار بالخطأ، ثم الإحساس بالندم عليه، والعزم على عدم العودة إليه مرة أخرى، فإذا فعلنا ذلك نكون قد استغفروا عن ذنوبنا. وإن أفضل سبيل لتأكيد العزم على عدم تكرار الخطأ هو القيام بأعمال معاكسة للخطأ

العفو هو تلقي الأخطاء والإساءات بصبر وتأنٍ، وإعطاء الذين ارتكبوا هذه الأخطاء فرصة لإدراكها والوقوف عليها... فالردُّ على الأخطاء بأخطاء والإساءات بإساءات مثلها قد يجعل المسيء يُصرُّ على إساءته.

مع أنه عند ارتكاب الأخطاء بحقنا يُتَظَرُّ منا رد فعل عقابي تجاهها، إلا أننا نستطيع أن نجعل رد الفعل هذا وسيلةً لإدراك المخطئ أخطائه، ثم التراجع عنها وتصحيحها والندم عليها، وليس وسيلةً للعقاب والانتقام، وذلك من خلال التآني والتمهل.

حتى إن تعاملنا مع الإساءة المرتكبة بحقنا بتجاهل وصدر ربح كأنها لم تقع، وإظهار صدقنا وإخلاصنا للمسيء بصورة جميلة يكون سبباً في ندمه على تلك الإساءة. ينبغي أن نتَّهم أنفسنا أولاً عند حدوث الإساءة بوضع احتمال أننا كنا السبب في صدور هذه الإساءة من المسيء كي نستطيع الحفاظ على إخلاصنا. فلربما من غير أن نستوعب أفكاره ومشاعره صدرَ منا قول أو فعلٌ بطريقة أثارت غضبه ودفعته إلى الإساءة، إذ لا أحد يريد الإساءة لغيره عبثاً. ومع ذلك كله، ينبغي أن نحزن ونأسف لحاله بسبب الخطأ أو الذنب الذي ارتكبه، ونطلب له العفو من الله تعالى، لا أن نغضب عليه.

إن العفو خصلة حميدة. وكل خصلة حميدة تحقق توازناً مع خصلة سيئة وتمنع من تحولها إلى مضرّة. وتنمية خصلة حميدة تزيد من إمكانية تنمية الخصال الحميدة الأخرى لدينا.

ينبغي أن نمتلك نفساً قادرة على العفو، لذلك ينبغي أن ننمي أنفسنا بالتربية. وإن كانت خصلة العفو لدى كل إنسان على قدر طاقته، إلا أنها لا تظهر من تلقاء ذاتها، إذ إن هناك سبباً لإظهارها وتنميتها وتطويرها.

المقترف، واتخاذ تلك الأعمال عادةً لدينا. وعلينا أيضاً التوجه إلى الحق ﷻ لتجنب اقتراف أخطاء وذنوب أخرى.

يمكن للإنسان أن يعفو عن كل شخص، وعن كل إساءة تصدر بحقه، حتى إنه ينبغي له فعل ذلك. ولكن لا ينبغي له أبداً العفو عن أخطائه، واتباعه أهواء نفسه. وعليه من أجل ذلك الإكثار من محاسبة نفسه، عليه أن يراقب نفسه باستمرار، ويفحص أحاسيسه وأفكاره فيما إذا كانت قد حادت عن صراط الله تعالى أم لا.

إن العفو له أدب، وعلينا التحلي به. ذلك أنه حتى المفسدون يستطيعون أن يعفو عن الآخرين، ولكن لا رحمة في عفوهم. إذ يسحقون الذين عفوا عنهم تحت وطأة العفو ويؤذونهم بالامتنان عليهم. فالمذنب قد يتخلص من آثار عقاب الذنب الذي اقترفه، إلا أنه هذه المرة يواجه ثقل الامتنان بالعفو.

أما الإنسان الصالح فلا يؤدي الذين عفا عنهم ولا يمتن عليهم، فهو حتى لا يقول للمذنب عفوت عنك، بل يعامله وكأنه لم يفعل شيئاً، وبذلك يستر على أخطائه وإساءاته بشكل جميل.

إن المؤمنين يتجنبون اقتراف الذنوب في كل الأحوال ما أمكنهم، لا سيما الجهري منه، لكي ينالوا مكرمة العفو من الله الغفور. ذلك أنه يُعفى عن كل الأمة ما عدا المجاهرين بالذنوب والمعاصي. فإذا لم يعلم أحد غيرنا بالذنب الذي اقترفناه، فإن آثاره ونتائجه الضارة تبقى مقتصرة على أنفسنا. ولكن عندما يشاهد الآخرون أيضاً

معاصينا، فإنهم يتأذون من آثارها. والمجاهرة بالمعصية تجعل الآخرين يعتادون عليها. وهذا الأمر يؤدي إلى إضعاف فرص مواجهة اقتراف تلك المعصية، ويزيد من احتمالات ارتكاب الآخرين لها أيضاً. فيكون المجاهر منا هو السبب بكل ذلك.

ولا بد للإنسان الذي تاب وعُفي عنه من ترك مرافقة أصحاب السوء

لكي يتمكن من الحفاظ على توبته، وتجنب العودة إلى المعصية مرة أخرى. ذلك أن الذين يُعبدون الإنسان عن هذا المقصد، أي التوبة والحفاظ عليها، ويثيرون الشبهات حوله، ويدخلون التردد في قلبه بشأن سلامة القرار الذي اتخذته إنما هم الأصحاب والأصدقاء.

إننا من خلال جعل العفو خصلةً متأصلةً فينا نصبح متصفين بصفة "الغفور" التي هي من صفات الله تعالى. وبذلك فإن القدرة الكامنة في داخلنا تتخلق بصفة الغفور، ونكون بالتالي أضفناها إلى مجرى حياتنا. وبما أن هذه الصفة هي من صفات الله، فإننا نكون بذلك قد اتصفنا بصفات الله تعالى.

إن الله تعالى من خلال صفته (الغفور) يغفر معاصينا وذنوبنا مراراً وتكراراً، إذ لا حدود لغفرانه. لذلك ينبغي ألا نياس من عفوهِ بشكل من الأشكال. فالرجاء من الله لا ينقطع أبداً، ولا يياس من الله إلا الضالون عن جادة الحق والصواب. إضافة إلى ذلك، لا ينبغي أن يقودنا الرجاء المفرط إلى الإهمال واستسهال الأمور، إذ لا بد أن يكون الإنسان بين الخوف والرجاء. والخوف يجب أن يكون على شكل الخشية، إذ إن الخشية اختلاج وارتجاف داخلي يشعر به الإنسان بسبب إدراكه عظمة الخالق وعلو شأنه. والخشية في الأصل هي حال التيقظ خوفاً من فقدان محبة الله تعالى. ومصدر الخشية هو العلم، لذلك فإن أكثر من يخشون الله ﷻ هم العلماء.

إن الله الغفور لا يعفو إلا عن أهل الإيمان، ولا يعفو عن الكافرين أبداً ما داموا على كفرهم وعيهم.



القلب والعقل



د. عرفان غوندوز

منها الإنسان في حواسه ليست تلك التي تكون في العين، أو الأذن، أو اللسان والتي نسميها بـ "العمى، والصمم، والبكم"، وإنما الإعاقة الحقيقية تلك التي تنتج عن خلل في القلب. فالأصم هو من لا يسمع الحق، والأعمى من لا يرى الحق، والأبكم من لا ينطق بالحق ولا يقول الصواب.

يقول مولانا جلال الدين الرومي عند حديثه عن قصة موسى مع فرعون التي يذكرها القرآن الكريم:

لا تنظروا إلى هذه القصة الواردة في الكتب المقدسة على أنها حادثة قد جرت في الماضي ثم وُضعت على رفوف التاريخ المغبرة. فهذه القصة والصراع الذي دار بين موسى عليه السلام وفرعون حادثة حية ومستمرة تدور وقائعها ومجرياتها داخل كل إنسان. لقد خلق الله تعالى الملائكة بهدف واحد. وهو تكليفهم بالطاعة المطلقة، فليس لديهم قدرة على المعصية. ولا يستطيع العصيان حتى لو أرادوا ذلك. وكذلك خلق الله تعالى الحيوانات بمهمة واحدة، فالحيوانات غير مكلفة لكونها لا تمتلك عقلاً. فهي تعيش وتسير في الحياة حسب توجيه غرائزها وشهواتها.

يقول النبي عليه الصلاة والسلام مشيراً إلى مكانة وأهمية القلب في جسد الإنسان:

"ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب" (مسلم، ١٥٩٩/١٠٧)

واستخدمت كلمة "القلب" في القرآن الكريم بمعانٍ تدل على أنها مركز الإدراك والوعي الموجود في الدماغ. حيث يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ (الأعراف: ١٧٩)

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦)

وكان الله تعالى بهذه الآيات القرآنية يصحح أو يعيد تنظيم تصورنا حول مسألة أشكال الإعاقة والأعذار التي تصيب أجسادنا. فالإعاقة الحقيقية التي يعاني

وأما طينة
الإنسان
الذي يُطلق
عليه "الوسط
الجامع"
فمجبول نصفها
من الخصال الملائكية،
والنصف الآخر من الخصال
الحيوانية. وإن بين هذين الجانبين صراعاً
مستمراً داخل وجدان الإنسان، شأنه كشأن السلطة
الحاكمة ومعارضيه.

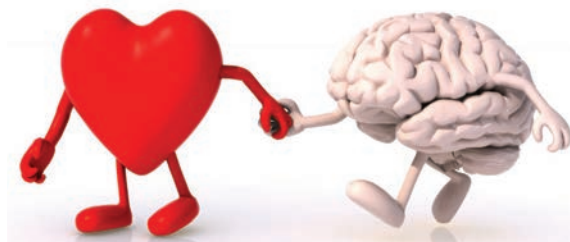
ويعتبر الشيخ ابن العربي صاحب كتاب التديرات
الإلهية في المملكة الإنسانية، يعتبر كل إنسان كدولة
مستقلة مختلفة عن غيرها، ثم هو في معرض بيانه كيفية
وقوف هذه السلطة الحاكمة في هذه الدولة الصغيرة
تجاه الأوامر والنواهي الإلهية يشير إلى صعوبة
المهمة من جهة، وإلى ضرورتها من جهة أخرى.
وحينما يقول الأستاذ نجيب فاضل: "إن حالات
الهبوط والصعود التي في داخلي لا مثيل لها في
الطبيعة"، فإنما يعبر عن أخطر ثنائي كامن داخل
الإنسان وهما الخير والشر، وصراعهما على السلطة
والحكم فيه. وعلى ذلك فإنه يجب على كل إنسان
البحث عن صراع السلطة الحاكمة والمعارضة داخل
نفسه، وليس في البرلمانات.

ولعل أهم سبب لإطلاق تسمية "القلب" التي
تعني كثرة القلب، والتغير، والتحول من حال إلى
حال على عضو القلب نابعة من كثرة تغير السلطة
الحاكمة المستمر نتيجة هذا الصراع. فالإنسان الذي
يغلب المشاعر الحيوانية الكامنة في باطنه، ويمكن
المشاعر الملكية من السيطرة والهيمنة واستلام
زمام الحكم يصبح أسمى من الملائكة حتى من
جبريل، وأما الإنسان الذي تنهزم في باطنه المشاعر
الملكية، وتسيطر الغرائز والأحاسيس الحيوانية فإنه

يصبح كائناً خطراً عدوانياً عداوته تصبح أكثر ضرراً
من وحش ضار مفترس. فكل إنسان يلتقي في باطنه
وجهاً لوجه عدوان لدودان أحدهما يمثل رغبات
موسى عليه السلام والثاني يمثل غطرسة فرعون وضلاله.
وكل منهما يعرض أمامك بضاعته ويسوقها لك. فكن
أنت ذاتك، وأعمل عقلك؛ فأغرق فرعون في نيل
قلبك، وأحي موسى حتى تصبح إنساناً، وتترجع على
عرش السلطنة. فهذا هو الحكم والملك والسلطنة
الحقيقية. إذ إن سلاطين الدنيا وملوكها يقدمون لك
التاج، إلا أنهم لا يعطونك الرأس؛ يعطونك الحزام،
ولا يعطونك الخصر".

إن كلمة العقل في اللغة العربية مشتقة من مصدر عقل،
وهو يعني أمسك، قيد، ضم، ربط. وتطلق على عملية
ربط المعلومات التي نحصل عليها بواسطة حواسنا،
وتحليلها، ومزجها، واستخلاص النتائج منها فهذا ما
تسميه التعقل، أو استعمال العقل. والعقل ليس عضواً
يملاً مكاناً مادياً في الدماغ، وإنما يُعرف العقل على
أنه وظيفة لعضلات القوة والتحكم، كما ويُعرف أنه
إحدى وظائف الدماغ. وكذلك لم يرد لفظ العقل في
القرآن الكريم لأنه ليس بكائن مادي، ولكن ترد له
اشتقاقات كثيرة كيُعقل.

إن أهم آلة إدراك ووعي لدى الإنسان فيما عدا



يقول النبي عليه الصلاة والسلام

مشيراً إلى مكانة وأهمية القلب في جسد الإنسان:
"ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح
الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي

القلب". (مسلم، ١٠٧/١٥٩٩)

الفخ وتجعلها في الشباك، كذلك فإن ضعف الإنسان وشهواته وأهوائه تقوده إلى نار جهنم".

إن الأمر اعقل - أي قيد أو اربط - الوارد في الحديث النبوي: اعقلها وتوكل لا يعني ربط أو مزج المعلومات التي نحصل عليها من خلال حواسنا واستخلاص النتيجة منها فحسب، وإنما يعني في الوقت نفسه غربلتها، وتصحيحها، واختيار الصواب منها، وإبعاد الخاطئ منها والحيلولة دون مروره.

إن القلب ذو خاصية مزدوجة، فهو مدركٌ، ومُدركٌ في الوقت ذاته. والقلب بمقام عينٍ للروح. فالبصيرة حسب عالمها نظرها؛ والعقل روحها؛ والإرادة حركتها ونشاطها. وإنما عادة عندما نقول: القلب فإننا نقصد هذا القلب.

فالقلب هنا عضو بغاية الجمال والروعة، إذ إنه يمتلك كفاءةً وقدرةً تمكنه من جهةٍ تلقي الإشارات من آفاقٍ عليا وسامية، ومن جهةٍ أخرى تمكنه من توجيه الإشارات إلى العقل وإحداث تأثير عليه.

فهو ينقل هذه الإشارات بشكل متوافق مع إرادة الذي يتغلب في الصراع الداخلي إلى العقل، والعقل يقوم بتوجيه الأمر إلى الجسد، ويحول الأفكار والنوايا إلى سلوك وفعل. إذًا، إن قدرة العقل ومملكة تقييده، وربطه بين الدوافع والنتائج، وغرلة الأفكار المتزاحمة ينبغي أن تتدخل هنا، وتجري انتقاء الإشارات الواردة إليها من القلب، فتنفذ الصحيح منها، وتمنع الخاطئ منها. وأما الإرادة فهي محصلة رغبات العقل والنفس.

إن القلب يدل على معنيين رئيسين. فأما الأول فهو يدل على العضو المخروطي الواقع في الجهة اليسرى من الصدر تحت الثدي الأيسر، ويتمتع بأهمية مصيرية وحياتية بالنسبة للإنسان للامتيازات التي يمتلكها.

الحواس الخمسة هي المخ الذهني (القلب العاقل). فهذه الآلية لا تتخذ قراراتها من خلال المنطق فحسب، وإنما تأخذ بعين الاعتبار في اتخاذ القرارات الجوانب والأبعاد الاجتماعية والعاطفية. وإن إيمان الذهن (القلب العاقل) بالمقدس وتمسكه بالقيم المعنوية يضمن له التوازن في التفكير، ويحقق له إحساس الثقة بالذات. وهو عند المواقف والمواضع التي يقف العقل فيها عاجزاً يأخذ هذه القيم بعين الاعتبار ويوجه صاحبه نحو الطريق الصحيح.

دائماً ما يجري الحديث عن نظام المخلوقات الذي هو بمنتهى التكامل، والدقة، وعن التشابه في التكوين والتنظيم السائد في الكون، وذلك ابتداءً من الأرض والنبات، وانتهاءً بالحيوانات والإنسان. وعند التأمل والنظر في هذا التدرج التصاعدي يتبادر إلى الذهن حتماً سؤال مهمٌ وهو إلى أين يجب أن يتجه الإنسان؟ وعندها يتبين لنا حتماً وجوب سيرنا على الخط أو الطريق الذي تنتهجه الملائكة والأنبياء. فهذه هي

الوجهة التي يختارها لنا العقل والوحي. وإن السير بعكس هذا الاتجاه هو تحول من الصعود إلى الهبوط، تحول من الارتقاء إلى النزول، بل هو تحول الإنسان من الحياة الإنسانية إلى الحياة الحيوانية.

إن مصطلح أولي الألباب يأتي بمعنى:

"أهل الفراسة والبصيرة، أي الذين يستعملون عقولهم في تقدمهم وتحركهم".

ويشير مولانا إلى هؤلاء بقولهم: "أما الحساد وأهل الطمع فيتصرفون على ضوء ما يرونه أمامهم؛ وأما العقلاء فيرون النتائج والنهايات ويتصرفون على ضوءها. كما أن شهوة الطيور بالحبوب توقعها في



الألوان بالأجسام، والصفات بالموصوف. يشبه الآلة مع مستخدمها، أو علاقة الجالس بالمكان الذي يجلس فيه. وأما الفؤاد فيستعمل للدلالة على عالم الإنسان الداخلي المتكون من الرغبات والأمنيات التي اتفق بشأنها العقل والنفس. وينظر القدماء إلى القلب العاقل على أنه عضو أبعد من القلب المادي، فهو عضو عاقل ومختلف، إذ أنه حساس، وقادر على الإدراك والوعي، ويضيء روح الإنسان. وقد أثبتت الأحداث والاكتشافات أن المصريين القدماء كانوا عند تحنيط المومياة ينزعون أحشاء الميت وكافة أعضائه إلا القلب، حيث كانوا يقولونه مكانه. إذ أنهم كانوا يعتبرون القلب مركز إدارة كل من الروح، والعقل، والعاطفة معاً.

فهو مركز المشاعر والأحاسيس والعواطف، وصلة الوصل الرئيسية بين كافة أعضاء الجسم وشرائينه، وأعصابه، وهو محرك الوحيد.

وأما الثاني؛ فهو البعد الملائكي، وهو أيضاً لطيفة روحانية تُعد مركز العاطفة، وقوة الإدراك، والإحساس، والعقل، والإرادة. وعن طريق هذا البعد يُطلق على الإنسان ألقاب مثل: عالم، عارف، مدرك. والروح أساس هذه اللطيفة وباطنها، وأما الروح البيولوجية فهو مركبها. وهذه اللطيفة هي المخاطبة من الله تعالى، وهي المكلفة بالتكاليف، والمعرضة للعقاب، والمتلقية للثواب، وهي التي تحلق وترتقي بالهداية، وتهوي إلى أسفل سافلين بالضلال، وهي التي تتلقى التكريم، وتعرض للذل، وهي المرأة المجلاة للمعرفة الإلهية.

إن ارتباط القلب العاقل بالقلب الجسماني يشبه ارتباط وعلاقة

اقرأ وتمعن

الإيمان يتأتى بالتصديق باليقين القلبي بوجود الله وتوحيده وما أوحى به من الحق، وكذلك بالإقرار اللساني بكل ذلك، فالإيمان ليس إدراكاً عقلياً، بل هو قبول قلبي بالدرجة الأولى.

والعلامة الفارقة للمؤمن هي تصديقه بالقلب دون شك أو ريب، وبالتسليم المطلق للحقائق الغيبية التي لا تدركها الأبصار، وتقصر عنها العقول.

والعقل هو الشرط الأول من شروط التكليف الديني. وقد أمر الله تعالى عباده باستخدام عقولهم في آيات كثيرة من كتابه الكريم. ومن هذا المنطلق، فإنّ العقل هو نعمة وإحسان إلهي قيم للغاية. لكن العقل أيضاً ككثير من النعم هو سلاح ذو حدين، يمكن استخدامه في الخير وكذلك في الشر.

هذا وقد عصا إبليس أمر ربه بتحكيم عقله وفقاً لهواه، وحلّت عليه اللعنة الأبدية. ولهذا فإنّ تربية عقل الإنسان بالوحي شرط لتأدية العقل وظيفة المرشد الذي يأخذ صاحبه نحو الحق وصوب الخير.

فالعقل لا يملك قدرة مطلقة في بلوغ الحقيقة. فكما للعين حدود في إبصارها، وللأذن حدود في سماعها، فكذلك العقل له حدود. وإمكانية إدراك المحدود لما لا حدود له بالكلية هو أمر مستحيل. فمن المستحيل أن تسع كأس صغيرة ماء المحيط الهائل.



حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا

يقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وتزينوا للعرض الأكبر، وإنا نخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا». (الترمذي، القيامة، ٢٥ / ٢٤٥٩)

فعلى المسلم مثلاً أن يحاسب نفسه كل ليلة على ما فعل في نهاره فيسأل نفسه الأسئلة الآتية:

- ✓ كيف فتحتُ دفتر أعمالي هذا الصباح؟ هل شكرتُ ربي على هذا اليوم الجديد الذي وهبه لي؟
- ✓ هل سارعتُ للقاء ربي حين دعاني في وقت السحر للاستغفار؟ كم كان نصيبي من الرحمات الإلهية التي تنزلت في ذلك الوقت؟ أم أنني ضيَّعت تلك اللحظات القيَّمة بالنوم؟
- ✓ هل انعكست بركات وقت السحر على يومي كله؟ كم قضيت حياتي هذا اليوم ذاكراً لله تعالى؟ كم فزت بروحانية ذكر ربي؟
- ✓ هل فكَّرتُ بالموت هاذم للذات؟
- ✓ كم تحررتُ من هموم الحياة والانشغال بما لا يفيدني وتوجَّهتُ لربي؟ كم تَرَكْتُ مظاهر قدرة الله وعظمته التي رأيتها أثراً عميقاً في قلبي؟
- ✓ كم أنصتُ إلى الأذان الذي رُفع خمس مرات فصليْتُ في جماعة؟ هل صلَّيتُ صلواتي كما يرضى عنها الله تعالى، أي بخشوع جوارحي وحضور قلبي؟
- ✓ هل نظرتُ إلى كسبي وطعامي وشرابي ولباسي اليوم وتساءلت إن كانت من حلال أو حرام أو مشبوه؟ هل ساورني شعور الحذر من الحرام في كل فعل من أفعالي؟
- ✓ هل راعيت حقوق العباد اليوم؟ هل أستطيع أن أقول الآن: «ليس لعبد من عباد الله حق عليّ ولم أوذِ أحداً»؟